كلمة العدد

يصدر هذا العدد من أنباء كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا بعد مرور ما يزيد على عشرين عامًا من صدور العدد الأوَّل منها. وكانت المجلَّة أدَّت في هذه الفترة دورًا كبيرًا في التعريف بالنشاطات العلميَّة والبحثيَّة، الميدانيَّة والنظريَّة، التي قام بها العاملون في الكليَّة خلال هذه السنين كلِّها. وإذ أضع بين أيديكم العدد الجديد من هذه المجلَّة بعدما أعادت الكليَّة النظر في خطَّة إصدار منشوراتها العلميَّة، فاستحدثت مكتب المنشورات مع مطلع العام الجامعيِّ 2007/2008 بقصد تطوير إصداراتها العلميَّة وتنظيمها، ورفع سويَّتها بما يتَّفق وما حققَّته الكليَّة من توسُّع في برامجها الأكاديميَّة ومشاريعها البحثيَّة، الميدانيَّة منها والنظريَّة، لما لذلك من أهميَّة في نشر نتائج التنقيبات الأثريَّة والدراسات البحثيَّة التي تنفَّذ بالتعاون مع مؤسَّسات وجامعات من دول شتَّى حول العالم. ويأتي ذلك تعزيزًا للدور العلميِّ الذي تؤديه كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا في الكشف عن التاريخ الحضاريِّ لمنطقتنا وإعادة بنائه على أسس علميَّة. وأرى أنه لا بدَّ في هذا المقام من تقديم الاعتذار عمَّا أصاب صدور المجلَّة من تأخير في السنوات الأخيرة، وسنحرص على استدراك ذلك في المستقبل.

كما أودُّ أنْ أشير هنا إلى أنَّ مجلة أنباء كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا باتت ترحِّب بمساهمات الزملاء العاملين في المجالات المتعلِّقة بالآثار، والأنثروبولوجيا، والنقوش، والمصادر التراثيَّة، والسياحة، ويمكن لمن يودُّ المساهمة في المجلة أو التعليق على ما ورد فيها، الكتابة إلى مكتب المنشورات في الكليَّة على العنوان الإلكترونيِّ archpubl@yu.edu.jo.

الزملاء الأعزاء

يصدر هذا العدد في وقت يختلجنا أسى عميق برحيل أحد أعمدة التنقيب الأثريِّ في الأردنِّ، الزميل نبيل القاضي الذي واكب نشأة معهد الآثار والأنثروبولوجيا منذ بواكير عهده. وإذ يرثيه شيوخ الآثاريِّين، عربًا وأجانب؛ فكأنَّ لسان الحال يقول إن الإنسان في مسعاه في الأرض كأن به يحفر موقعًا له في هذه الدنيا يرسم فيها أثره قبل أن تحفر له. لقد كان نبيل القاضي ذا علم وعمل فأسهم في جلِّ مشاريع التنقيب الأثريِّ التي أجرتها كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا للكشف عن آثار الأردنِّ؛ فعمل بيده وقلبه لاستحضار التاريخ من الماضي السحيق إلى حاضر الأيام ومستقبلها. وستحفظ سجلاَّت التنقيب الأثري في الأردنِّ ذكراه طيِّبة فينا، فلتسكن روحه الجنة...

رئيس التحرير

زيدون المحيسن

المحتويات

- كلمة العدد 1
- المحتويات 2

- خربة الذريح، الموسم الثاني عشر للتنقيب والترميم
  زيدون المحيسن وفرانسوا فيلنيف 4
- تلُّ جُحفيَّة، تقرير موجز عن موسم التنقيب الأثريِّ لعام 2007
  زياد السعد ورولاند لامبركس 10
- ناطْفة، دراسة جديدة في الآثار البيولوجيَّة
  محمود النجَّار، جيروم روز، موفق بطاينة، علي الرحابنة 12
- بَرسينيا، موسم التنقيب الأثريِّ الأوَّل 2006
  لمياء الخوري 15

- مشروع الشبكة المتوسِّطيَّة لتوثيق النقوش، محاولة في سبيل رصد التراث الماديِّ في الأردنِّ
  هاني هياجنة 17
- مشروع الذاكرة الثقافيَّة لأسماء الأماكن في منطقة بني كنانة وتوثيق التراث غير الماديِّ في شمال الأردنِّ
  هاني هياجنة، إيلي وارديني، محمَّد عبابنة 20
- ظاهرة أثريَّة جيولوجيَّة في حاجة إلى تفسير: طبقة من الحصى تغطي البقايا الأثريَّة قبل حوالي تسعة آلاف عام
  زيدان كفافي 23
- مراجعة كتاب "القدس قبل الإسلام"
  عمر الغول 26
- عرض كتاب "عمارة الكنائس وملحقاتها في الأردنِّ في العهدَين البيزنطيِّ والأمويِّ"
  عفاف زيادة 29
- مراجعة كتاب "نقوش صفويَّة من وادي سلمى (البادية الأردنيَّة)"
  عمر الغول 32

- ملخَّصات أطروحات الماجستير 34

- الرسم الأثريُّ (4): رسم مسقط وواجهة ومقطع رأسيٍّ لغرفة تراثيَّة
  علي العمري 46
- المسح الجيوفيزيائيُّ في الآثار
  موفق بطاينة 49
- التصوير الضوئيُّ والرقميُّ
  يوسف الزعبي 52
- تلف الحديد وطرق معالجته
  رضوان الروسان 54

- إلى روح نبيل القاضي 56

أنباء

28/27- 2008

مكتب المنشورات

كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا

جامعة اليرموك

رئيس التحرير

زيدون المحيسن

هيئة التحرير

عمر الغول

محمود النعامنة

عفاف زيادة

تصميم إلكتروني

عفاف زيادة

مراجعة النصّ الإنجليزي

فينا هالادي

تصوير

يوسف الزعبي

حسين ديباجة

فرز الألوان

وائل البوَّاب

البريد الإلكتروني

archpubl@yu.edu.jo

الرمز البريدي 211-63

طباعة

مطابع المؤسَّسة الصحفيَّة الأردنيَّة "الرأي"

ISSN 1021-5174

لا يجوز إعادة طباعة نصوص أو صور من هذه المجلة إلا بإذن من الناشر

خربة الذريح

الموسم الثاني عشر للتنقيب والترميم

زيدون المحيسن وفرانسوا فيلنيف

الذريح موقع ريفيٌّ متوسِّط الحجم، يقع على بعد 100 كيلومتر إلى الشمال من البترا، قريبًا من "الطريق الملكيِّ"، أحد أهمِّ طرق القوافل التي تصل الشمال بالجنوب في الشرق الأدنى. والمنطقة، بعدُ، كثيرة الماء وفيرته. وكان التنقيب الأثريُّ عن الموقع بدأ عام 1984، وتناول الجوانب المختلفة فيه كلَّها:

- التسلسل الزمنيُّ، ويشمل العصور والفترات التالية: العصر الحجريَّ الفخّاريَّ "أ"، والعصر البرونزيَّ المبكِّر، والفترة الأدوميَّة من العصر الحديديِّ الثاني، والفترة ما بين القرن الأوَّل الميلاديِّ ومنتصف القرن الرابع الميلاديِّ، والفترة ما بين نهاية القرن السادس الميلاديِّ حتَّى بداية القرن التاسع الميلاديِّ. أمَّا الفترة الأخيرة؛ فترجع إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديَّين تقريبًا.
- الحرم النبطيُّ الكبير الفخم، وهو حرم في وادٍ يتَّصل بالحرم العالي في خربة التنُّور القريبة جدًّا من خربة الذريح، والتي نقِّب عنها في الثلاثينات من القرن العشرين، ويغلب أنَّ حرم خربة التنُّور كان مخصَّصًا لإقامة مواسم دينيَّة موسميَّة، لا سيَّما تلك المقامة في فترة الاعتدالين الربيعيِّ والخريفيِّ.
- القرية الصغيرة الراجعة إلى الفترة ما بين القرن الثاني والقرن الرابع الميلاديِّين، وتتألَّف من بيوت فلاَّحين، ومعاصر زيت، وبيت كبير فخم لكبير القرية.
- المدفن المكوَّن من مقبرتين، حيث ينتصب قبر ضخم لأكثر الأسر نفوذًا في الموقع، وقد بُني في حوالي عام 1100 ميلاديَّة.
- الآثار الزراعيَّة والمائيَّة الكثيرة.
- العزبة الراجعة إلى الفترات الكلاسيكيَّة المتأخِّرة، وقد كانت مسيحيَّة أوَّل الأمر، ثمَّ غدت إسلاميَّة. وظلَّت العزبة محصورة في الفناء الشماليِّ من الحرم النبطيِّ الرومانيِّ.

وقد بات هذا الموقع الجميل الواقع في واد كبير غير مأهول يجذب زوَّارًا من المنطقة وسائحين أجانب، لوقوعه على الطريق السياحيِّ الرئيسيِّ في الأردنِّ. ثمَّ إنَّ خربة الذريح - بالإضافة إلى الحُميمة الواقعة جنوب البترا، والتي نقَّب عنهَّا فريق أميركيٌّ- الموقع النبطيُّ الوحيد في الأردنِّ الذي دُرِس

دراسة وافية، ومخلّفاته الأثريَّة أكثر تنوُّعًا وأحسن حالاً من المخلّفات التي عثر عليها في الحُميمة.

ومعلوم أنَّ التنقيب عن مثل هذه المواضع قد يستغرق عقودًا بحالها، لكنَّ هذا لم يكن نهجنا في التنقيب عن خربة الذريح؛ فقد اختتمنا التنقيب شيئًا فشيئًا عن المقابر، وعن القرية، وعن البقايا الأثريَّة المحيطة بالموقع. وقد وُثقت الآثار في هذه المواضع توثيقًا حسنًا، وننوي الآن اختتام التنقيب عن منطقة الحرم وملحقاتها في أسرع وقت ممكن، وإنجاز تقديم الموقع نهائيًّا إلى الجمهور.

وكان الموسم الثاني عشر من مواسم التنقيب أُجري في صيف عام 2004، وكانت الغاية منه، في المحلِّ الأوّل، إجراء عمليَّات تنظيف وترميم كبيرة، بالإضافة إلى حفر مجسَّات في الحرم وفي المناطق القريبة منه. وشمل العمل الميدانيُّ الفترة من 26 حزيران حتَّى 29 آب من عام 2004، واستعنَّا في عملنا براقعة كبيرة من جامعة اليرموك، وبجرَّافات من بلديَّة الطفيلة. وتكوَّن فريق التنقيب من 35 شخصًا، 13 منهم أردنيُّون، و17 فرنسيُّون، ومغربيٌّ، وجزائريٌّ، وبحرينيٌّ، والأخير طالب في جامعة اليرموك، وسويسريٌّ، وبلجيكيٌّ يدرِّس بكندا. وعمل في المشروع ما يقرب من 60 عاملاً من منطقة الطفيلة. وقد تلقَّى فريق التنقيب زيارات من مجموعة من الآثاريِّين العراقيِّين، ومن عدد كبير من الأساتذة الأردنيِّين، ومن السفير الفرنسيِّ بعمَّان.

وبالإضافة إلى أعمال التنقيب نفسها، أُجريت عدَّة دراسات مختصَّة في هذا الموسم، فقد بدأ هـ. غوتيه H. Gautier دراسة للفحم والحبوب من خربة الذريح، وما تزال عيِّنات الفحم قيد الدراسة، أمَّا الحبوب؛ فقد تبيَّن أنَّ أكثرها حبوب قمح وشعير، ونوى خوخ وعنب وزيتون. أمَّا الباحث الأميركيُّ م. بيري M. Perry؛ فقد أدرج خربة الذريح في دراسة مهمَّة له تهدف إلى قياس نسب عنصر الأسترونتيوم في العظام البشريَّة والحيوانيَّة، فأتى بنتائج أوَّلية تسترعي الاهتمام، ولكنَّها محيِّرة في وقت معًا؛ إذ توحي بأنَّ المدفونين في خربة الذريح في الفترات القديمة كلِّها، لم يكونوا من أهل المنطقة، بل ربَّما جاءوا من منطقة البترا والقويرة.

أعمال التقوية والترميم

أُوليت هذه الأعمال عناية خاصَّة في هذا الموسم، فقد أزلنا مئات الأطنان من الطمم الذي تراكم خلال المواسم الأحد عشر من التنقيب، وكان ذلك في الجهة الجنوبيَّة الشرقيَّة من المعبد. ثمَّ إننا قوَّينا عشرات الأمتار من الأسوار القديمة، وأزلنا أجزاء قليلة من أسوار العزبة الراجعة إلى الفترات الكلاسيكيَّة المتأخِّرة في منطقة الحرم النبطيِّ، وعملنا على استبناء المخلَّفات النبطيَّة الرومانيَّة التي كانت قائمة في الموقع نفسه. كما أجرينا عمليَّات ترميم واستبناء شملت قَطع الحجارة وزخرفتها في السور الشماليِّ (الخلفيِّ) للمعبد على المصطبة الطقوسيَّة للمعبد، وفي الجزء النصف الدائريِّ من الكنيسة البيزنطيَّة المبنيَّة داخل المعبد. وإلى ذلك، رُمِّمت كلُّ القطع المعدنيَّة، وعشرات من القطع الفخَّاريَّة.

التنقيب

جرى أكثر التنقيب في المنطقة A، في الطريق المقدَّسة المفضية إلى الحرم، وفي أقصى المنطقة الجنوبيَّة من الحرم S7، وفي المناطق الخارجيَّة من المعبد، إلى الشمال S9، وإلى الشرق S10، وفي البوَّابة الشرقيَّة المفضية إلى الحرم - S2B S11B، وفي الأجزاء الشرقيَّة من الفناء الرئيسيِّ (الشماليِّ) S2 التي ترجع إلى ما قبل الفترة النبطيَّة.

وأكَّدت نتائج التنقيب في عدَّة أماكن من الموقع وجود سكنى في الفترات المتأخِّرة من العصر البرونزيِّ المبكِّر، وفي الفترة الأدوميَّة. ويُشار بصورة خاصَّة إلى وجود طبقة سميكة جدًّا من التدمير راجعة إلى المرحلة الرابعة من العصر البرونزيِّ المبكِّر في المنطقة A كلِّها، تحت المباني الراجعة إلى الفترة ما بين القرن الأوَّل والقرن الثالث الميلاديَّين مباشرة. أمَّا الطبقة الأدوميَّة، وإنْ كنتَ لا تجدها في المنطقة A، إلاَّ أنها موجودة في المنطقة B الواقعة على بُعد أمتار إلى الشرق.

المعبد النبطيُّ في الذريح

آثار القرن الأوَّل الميلاديِّ

ساهمت الاستكشافات الإضافيَّة في توثيق الحرم الصغير المبكِّر في خربة الذريح، والذي طمس آثارَه إلى حدٍّ بعيد الحرمُ المتأخِّر، فقد استُكشف مقطع منه قرب الزاوية الشماليَّة الغربيَّة للمعبد المتأخِّر. وكشف المجسُّ الذي حُفر هناك عن فخَّار نبطيٍّ ملوَّن من النوع المؤرَّخ إلى نحو 20 ميلاديَّة، وهذا يُعدُّ دليلاً تقريبيًا على تاريخ بناء جزء من الحرم المبكِّر.

كما أكَّد التنقيب في المنطقة A النتائج التي توصَّل إليها موسم 2001، وذلك في المنطقة المهمَّة التي كان الحجَّاج يقفون عندها قبل دخول الحرم. وقد بُنيت تلك المنطقة في نهايات القرن الأوَّل الميلاديِّ/بدايات القرن الثاني الميلاديِّ، وانتهى السكن فيها في القرن الثالث الميلاديِّ، أي قبل أنْ تُهجَر المواضع الأخرى في خربة الذريح (363 ميلاديَّة) بقرن.

ويتجلَّى التدمير المبكِّر كذلك في المنطقة S7 على الحدِّ الجنوبيِّ للحرم. ولمَّا عُثر على قطعة نقديَّة تدمريَّة ضُرب عليها اسم "وهب اللات"، ابن زنوبيا، مؤرَّخة لعام 273 ميلاديَّة، فنحسب أنَّ تلك المنطقة تدمَّرت أثناء حملة الجيش التدمريِّ في أواخر القرن الثالث الميلاديِّ.

وتتكوَّن المنطقة A من طريق غير مرصوف مفض إلى الحرم، ومن خان، ومن مبان إضافيَّة تقع شرقيَّ الطريق، ومن حمَّامات غربيَّة. أمَّا الخان؛ فبناء خرِب، هُدمت أجزاء منه وأعيد بناؤها مرَّات ومرَّات، وهو يتكوَّن من فناء مستطيل كبير، تحيط به غرف من الشرق والشمال والجنوب. ويُدلَف من الفناء إلى الشارع من خلال بوَّابة A5.

أمَّا الغرفة الواقعة جنوب البوَّابة فكانت، في الغالب، غرفة للحراسة؛ إذ عُثر فيها على رؤوس معدنيَّة لأسلحة.

وتلفي في الجناح الجنوبيِّ من الخان غرفتين مستطيلتين A4 وA10، لم يُعثر فيهما على أيَّة بقايا أثريَّة، فربَّما كانتا إسطبلات. وقد استُكشف الحمَّام A2 في حال سيِّئة؛ إذ أعاد الناس استخدام حجارته وبلاطات الرصف في بناء منطقة الحرم في أثناء الفترة البيزنطيَّة. أمَّا نظام التسخين (التدفئة المركزيَّة والأنابيب الفخَّاريَّة) تحت مستوى الأرضيَّة في الغرفة الساخنة؛ فلا يزال في حال حسنة جدًّا.

الحرم في القرن الثاني الميلاديِّ (المرحلة أ)

الحرم المتأخِّر ذو تاريخ مديد، يمكن أنْ يُقسم، عمومًا، إلى المرحلة أ التي تتراوح ما بين أوائل القرن الثاني الميلاديِّ ومنتصفه، وهي المرحلة التي شهدت إنشاء أكثر المباني، وإلى المرحلة ب الممتدَّة من أواخر القرن الثاني الميلاديِّ حتَّى منتصف القرن الرابع الميلاديِّ، والتي شهدت عددًا من التعديلات. وقد استُكشف في الجزء الشماليِّ من المجسِّ S8 الواقع خارج الزاوية الشماليَّة الغربيَّة من المعبد كثير من كسر الآنية الفخَّاريَّة الراجعة إلى المستوى الذي أُقيمت عليه الأساسات، والتي أرَّخت هذا الحرم، عمومًا، إلى حوالي عام 100 ميلاديَّة، زد على ذلك أو أنقص منه عشرين عامًا. وعليه، فلسنا قادرين على القطع إنْ كانت أعمال البناء قد بدأت قبل ضمِّ المملكة النبطيَّة إلى الدولة الرومانيَّة (في عام 106 ميلاديَّة)، أم بعد ذلك.

أمَّـا المنطقــة S9 الواقعــة إلى الشــمال مــن المعبــد (الجــزء الخلفـي) فكُشـفت حتَّـى مسـتوى الطـواف المحيـط بالمعبـد، وهــي منطقــة مرصــوفة انهــارت تمامًــا في زلــزال عــام 363 ميلاديَّة في الغرفة الواقعة دونها، والتي لم يُنقَّب عنها بعد. ومن جهـة أخـرى، كشـف التنقيـب الواسـع في المنطقـة S10 الواقعـة إلى الشـرق مـن المعبـد عـن أرضيَّـة مرصـوفة شملت المنطقـة كلَّهـا، دون أنْ يكـون تحتهـا غـرف. وقـد أُقيمـت بنايـات عديـدة في تلـك المنطقـة في مرحلـة لاحقـة، في أثنـاء الفترة البيزنطيَّة الأمويَّة. وكان من أهمِّ ما اسـتُكشـف فيهـا بقايا مذبح نذوريٍّ صغير، طول ضلعه 3.64 أمتار، بُني على مسـافة غير بعيـدة إلى الشـرق من الجدار الشـرقيِّ للمعبد. واستُكشفت بعض عناصر زخرفة المذبح، منها رسم مُصغَّر لتـاج عمـود نبطـيٍّ، استُكشـف في موقعـه الأصلـيِّ، إضافـة إلى رسم جداريٍّ محفور يمثل "نفش" على واجهة هرميَّة.

وممَّا يؤكِّد أنَّ لهذا البناء وظيفة ذات صلة بالأضاحي قربه من البوَّابة الشرقيَّة للحرم، والتي كُشف عنها في المنطقتَين S2B وS11B، وذلك بعد أنْ أُزيلت الإضافات الـتي كـانت استُخدمت في مرحلة لاحقة لسدِّها. ويغلب أنَّ هذه البوَّابة الواسـعة ذات العتبـة المنخفضـة جـدًّا اسـتُخدمت لإدخـال الحيوانات ليُضحَّى بها.

التغييرات التي جرت في الحرم من أواخر القرن الثاني الميلاديِّ إلى منتصف القرن الرابع الميلاديِّ (المرحلة ب)

تجلَّت أهمُّ الاستكشافات في أثناء حفر مجسَّات في المنطقة S7 عند المدخل الجنوبيِّ للحرم. ودلَّت المجسَّات الـتي حُفـرت في هــذا الموســم علــى أنَّ ثــلاث حجــرات كــبيرة متجــاورة مستطيلة قد أُضيفت للحرم في نحو عـام 200 ميلاديَّة إلى الجنــوب مــن الفنــاء الجنــوبيِّ. وفي أواخــر القــرن الثــالث الميلاديِّ عـاد النـاس فـأزالوا هـذه الحجـرات الـتي كـانت استُخدمت مضافات طقوسيَّة لحين من الزمان (غرف ذات مقاعد من ثلاث جهات). وبعد إزالة الغرف نشأت مكانها ورشة كبيرة استخدمها العمَّال القائمون على بناء إضافات معماريَّة في الحرم، وهي إضافات لم تنجز في الواقع قطُّ.

السكنى المسيحيَّة (أواخر القرن السادس الميلاديِّ وحتَّى منتصف القرن السابع الميلاديِّ؟)

جرى في هذا الموسم، كمـا هـو الحـال في المواسـم الأخرى، الكشف عن وحدات سـكنيَّة عاديَّة ترجع إلى هـذه الفترة، وتقـع ضـمن الجـزء الشـماليِّ مـن الحـرم النبطـيِّ. أمَّـا مـا اسـتُكشـف مـن هـذه الفـترة؛ فكـان عتبـة بـاب علويَّـة، مزخرفة بصليب يونانيٍّ حُفر داخل دائرة، وتحيط بالصليب من كلتا جهتيه زخرفتان ورديَّتان. وقد عُثر على العتبة قرب البوَّابة الجنوبيَّة للفناء الرئيس للحرم، وهي بوَّابة استُخدمت في الفـترة البيزنطيَّـة مـدخلاً رئيسًـا للعزبـة، فيغلـب أنَّ هـذه العتبة كانت لتلك البوَّابة.

السكنى الإسلاميَّة المبكِّرة (الأمويَّة والعبَّاسيَّة)

استُكشفت مساكن من هذه الفترة تشبه تلك التي بُنيت في الفترة البيزنطيَّة. أمَّا الاستكشاف الرئيس من هذه الفترة؛ فهو حمَّام يرجع إلى الفترات الكلاسيكيَّة المتأخِّرة، وهو صغير الحجم، يتراوح ارتفاعه ما بين مترين وثلاثة أمتار، كشف عنه في حال حسنة جدًّا. ويقع الحمَّام قرب الزاوية الجنوبيَّة الشرقيَّة للفناء الرئيس للحرم، وقد بُني مباشرة فوق الأرضيَّة المرصوفة لذلك الفناء، وجُعلت أرضيَّته عالية بما يتيح وقوع التدفئة التحت أرضيَّة ما بين

أرضيَّة الحمَّام الأمويِّ

الرصفة السفليَّة والرصفة العلويَّة. وجاء مخطَّط الحمَّام مستطيلاً، وفيه حجرتان صغيرتان فيهما مقاعد حجريَّة

عند الأطراف السفلى من الجدران، وترى في الجدران أنابيب تدفئة فخاريَّة عموديَّة، وفي الجهة الجنوبيَّة حوضان مدفَّآن، هما حوضا استحمام مربَّعان مقصوران. أمَّا الموقد؛ فجاء في أسفل الجدار الجنوبيِّ الخارجيِّ. وتتشابه بعض مرافق هذا الحمَّام مع مرافق الحمَّام الأمويِّ الذي عُثر عليه في خربة المَفْجر قرب أريحا، وإنْ كان هذا الحمام الأخير أكبر بكثير من حمّام خربة الذريح.

وعُثر في هذا الموسم كذلك على عدد من النقوش والمخربشات الإسلاميَّة المبكِّرة، وإنْ لم يكن أيٌّ منها في موقعه الأصليِّ، بل استُكشفت في مواضع مختلفة من الفناء الشماليِّ للمعبد. ويلفت أحد هذه النقوش النظر إلى المكان الذي نقش فيه؛ فقد عُثر عليه منقوشًا في العمود الشماليِّ في الزاوية الشماليَّة الشرقيَّة من المعبد، ولم تمكن قراءته بعد. أمَّا أهمُّ تلك النصوص؛ فقد عُثر عليه قرب البوَّابة الشرقيَّة للحرم، وهو نقش تذكاريٌّ قصير، كتبه "هشام بن شابور"، وهو مؤرَّخ للسنة 79 للهجرة (699/698 ميلاديَّة)؛ فهو واحد من أبكر النقوش الإسلاميَّة التي استُكشفت حتَّى الآن. ويدلُّ التاريخ دلالة واضحة على أنَّ الذريح غدت إسلاميَّة، ولو جزئيًّا، في أواخر القرن السابع الميلاديِّ.

المساهمون

جامعة اليرموك

جامعة باريس الأولى

وزارة الخارجيَّة الفرنسيَّة

السفارة الفرنسيَّة بعمَّان

المركز الفرنسيُّ للشرق الأدنى

مشروع CNRS-UMR 7041 بجامعة نانتر

بمساعدة

دائرة الآثار العامَّة

وزارتَي التربية والتعليم والأشغال العامَّة

بلديَّة الطفيلة الكبرى

تلّ جُحفيَّة

تقرير موجز عن موسم التنقيب الأثريِّ لعام 2007

زياد السعد ورولاند لامبركس

استؤنف

الموسم الرابع من التنقيبات الأثريَّة في تلِّ جُحفيَّة بإشراف رولاند لامبركس من جامعة مونستر، وزياد السعد من جامعة اليرموك، وذلك في الفترة ما بين 15 نيسان و10 أيَّار من عام 2007. وموَّلت جامعة اليرموك ومؤسَّسة غيردا هينكل بدسولدورف المشروع مجتمعتَين.

شمل التنقيب في هذا الموسم مساحة تزيد على 220 مترًا مربَّعًا، توزَّعت في سبعة مربَّعات. وهدف التنقيب إلى التعرُّف على آثار الفترات المبكِّرة في التلِّ، وتوثيق اللقى الأثريَّة فيه، وزيادة معرفتنا عمومًا بفترة العصر البرونزيِّ المتأخِّر في تلِّ جُحفيَّة. وتوصَّلت أعمال التنقيب إلى نتائج جديدة وقاطعة فيما يتعلَّق بالطبقات السفلى من التلِّ، وذلك فيما يتَّصل بتسلسل الطبقات الأثريَّة، والتسلسل التاريخيِّ للفخَّار، والبقايا العمائريَّة التي عُثر عليها في تلك الطبقات، والتي تتمثل في بناء حجريٍّ دائريٍّ كبير، بُني من حجارة كلسيَّة وصوَّانيَّة كبيرة.

وخلص موسم التنقيب في عام 2007 إلى أنَّ السكنى بدأت في جُحفيَّة خلال العصر البرونزيِّ المتأخِّر، وذلك عندما شُيِّد على الصخر البكر "بناء" دائريٌّ ضخم يزيد قطره على خمسين مترًا. ودلَّت التنقيبات على أنَّ البناء مكوَّن من عدَّة جدران مركزيَّة (ثلاثة في الأقلِّ)، يبعد الواحد منها عن الآخر نحو مترين تقريبًا. وقد ملئت الفراغات ما بين الجدران بحجارة كلسيَّة وصوَّانيَّة متوسِّطة الحجم، مشكِّلة بناءً حجريًّا ضخمًا، لا نزال نجهل الغاية من بنائه. ولا تزال حالة هذا البناء العامَّة حسنة؛ إذ ترقى الجدران التي كُشف عنها منه إلى ما يزيد على 4.5 مترًا. وقد غُطِّي هذا البناء

مشهد عامٌّ لتلِّ جُحفيَّة

الضخم بطبقة من الكلس كسته من أعلاه. ولسنا نعرف سببًا لذلك، لا سيَّما أننا لا نكاد نجد في المنطقة بناءً آخر يشبه هذا البناء.

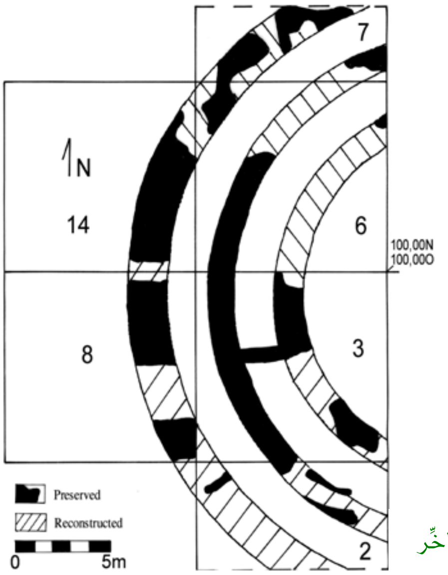

بقايا من العصر البرونزيِّ المتأخِّر

الجدران 1-3

وتنبغي الإشارة، على أيَّة حال، إلى البناء المسمَّى "رجم الهري" الواقع جنوب هضبة الجولان؛ فثمَّة قسم من ذاك الرجم، لعلَّه الأوسط، يشبه هذا "البناء" الذي استُكشف في تلِّ جُحفيَّة، والذي يمكن أنْ يكون أيضًا رجمًا من العصر البرونزيِّ المتأخِّر. ولن يتسنَّى التثبُّت من صحَّة هذه الفرضيَّة إلاَّ بعد إجراء مزيد من الدراسات والتنقيبات.

ولم يُعثر في الطبقات الدنيا من تلِّ جُحفيَّة في موسم عام 2007 إلاَّ على بعض الكسر العظميَّة، والصوَّانيَّة، والبازلتيَّة، بالإضافة إلى كسر فخَّاريَّة، ورأس سهم برونزيٍّ، وكسرة من خرزة، وبعض قطع خشبيَّة. ويشبه الفخَّار المستكشف فخَّار العصر البرونزيِّ المتأخِّر، فيشيع بينه النوع المسمَّى "الشكولاته على أبيض"، ولم يُعثر سوى على عدد قليل من الكسر التي ترجع إلى فترة السكنى التالية في الموقع، أي إلى العصر الحديديِّ.

لقد غدا من الواضح بعد نهاية موسم التنقيب لعام 2007 أنَّ ثمَّة مرحلتين من مراحل السكنى في تلِّ جُحفيَّة تتَّصف كلٌّ منهما بما يلي:

- بناء حجريٌّ كبير دائريٌّ يرجع إلى العصر البرونزيِّ المتأخِّر. ولا تزال الغاية من بنائه غير معروفة، فربَّما كان رجمًا، غير أنَّ هذه الفرضيَّة لا تزال في حاجة إلى إثبات.
- عدَّة منشآت ذات صلة بالأعمال الزراعيَّة، أقيمت على أنقاض العصر البرونزيِّ المتأخِّر في أثناء مراحل العصر الحديديِّ الثلاث. ومن بين هذه المنشآت عزبة زراعيَّة مكوَّنة من بناء رئيس، ومرافق أخرى لتخزين المنتجات الزراعيَّة ومعالجتها، يحيط بها سور خارجيٌّ.

وتلت ذلك فترة هُجر فيها تلُّ جُحفيَّة، ثمَّ عاد الناس إلى سكناه في العصر الأمويِّ، وجاء أكثر البقايا العمائريَّة من هذه الفترة في أطراف التلِّ، وفي جزء صغير من المنطقة العليا، وبعد ذلك هُجر التلُّ نهائيًّا.

ناطْفة

دراسة جديدة في الآثار البيولوجيَّة

محمود النجَّار

جيروم روز

موفق بطاينة وعلي الرحابنة

استُهلَّ موسم التنقيبات الأثريَّة الأوَّل في وادي ناطْفة ضمن اتفاقيَّة التعاون المشترك بين كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك بإشراف محمود النجَّار، وقسم الأنثروبولوجيا بجامعة أركنسو الأميركيَّة، بإشراف جيروم روز، وبالتعاون مع دائرة الآثار العامَّة. وهذا الموقع هو الرابع الذي أجرى فيه الفريق الأردنيُّ الأميركيُّ المشترك تنقيبات أثريَّة لتدريب طلبة الأنثروبولوجيا في الجامعتَين على الطرق العلميَّة للتنقيب الأثريِّ، وكيفيَّة التعامل مع الهياكل العظميَّة واللقى الأثريَّة، وتدريبهم على أعمال الرسم، والتصوير، والتوثيق. إضافة إلى مسح الموقع طبوغرافيًّا، ورسم خريطة كنتوريَّة لمعالمه الطبوغرافيَّة، وتوثيق أنشطة الاستقرار السكنيِّ في مراحله الزمنيَّة كافَّة.

أعمال التنقيب ونتائجها

امتدَّت فترة المسح والتنقيب للموسم الأوَّل في ما بين 21 أيَّار إلى 15 حزيران عام 2006، نقِّب فيها عن 26 قبرًا، جلُّها فرديٌّ تركَّز في الجانب الشرقيِّ من الموقع في صفوف تبعت التكوين الصخريَّ للمنطقة، ومقبرة جماعيَّة واحدة في الجانب الغربيِّ. وكانت مداخل القبور نحتت في الصخر القاسي، بينما نحت جسم القبر في الصخر الطريِّ، وتركت طبقة الصخر القاسي سقفًا للقبر لحمايته من العوامل الجويَّة.

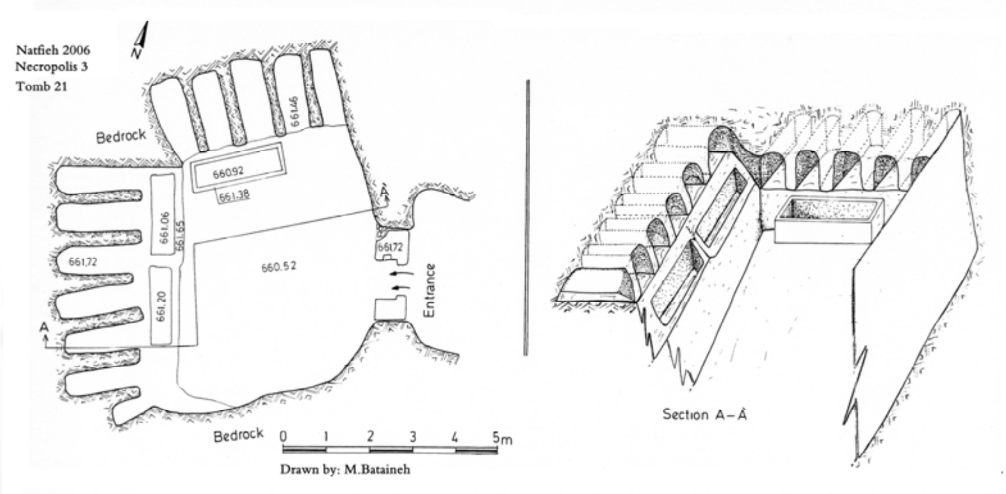

مسقط أفقيٌّ لحجرات الدفن في المقبرة الجماعيَّة

ضمَّت المقبرة الجماعيَّة 15 قبرًا نحتت في صفَّين في الناحيتَين الشماليَّة والغربيَّة منها، وقبرَين قُطعا أمام قبور الصفِّ الغربيِّ، إضافة إلى تابوت حجريٍّ واحد قطع أمام الصفِّ الشماليِّ. وتشير الدلائل إلى أنَّ تلك المقبرة قد نُهبت مؤخَّرًا، استنادًا إلى بعض المخلَّفات التي تركها لصوص الآثار. وتعود العظام والأسنان التي عُثر عليها إلى ثلاثة عشر هيكلاً عظميًّا، ثمانية منها لأشخاص كانوا قد جاوزوا مرحلة البلوغ، وخمسة هياكل، أحدها لطفل حديث الولادة، وآخر عمره ما بين 6-18 شهرًا، وثالث عمره ما بين 2-3 سنوات، ورابع عمره ما بين 6-12 سنة، وآخرها لشخص عمره 12-15 سنة.

وتدلُّ بعض المرفقات الجنائزيَّة، وطريقة حفر المقابر وبناء مداخلها، والكسر الفخَّاريَّة، إلى أنَّ السكنى السائدة في الموقع تعود إلى الفترة الرومانيَّة المتأخِّرة والبيزنطيَّة المبكِّرة، مع العلم بأنَّ ثمَّة سكنى أقدم في الموقع، كان الفخَّار المتناثر على السطح شاهدًا عليها، وقد استمرَّت هذه السكنى حتَّى الفترات الإسلاميَّة المبكِّرة.

وفيما بين 27 حزيران إلى 3 آب من عام 2007، استؤنفت أعمال الموسم الثاني من التنقيب الأثريِّ في موقع ناطْفة، كُشف في أثنائها عن حوالي 31 قبرًا حملت الأرقام 27-58، والتي حُفرت في الصخر الطبيعيِّ في مساحة بلغت 75 x 50 مترًا، حيث تبيَّن أنَّ تلك القبور هي من نمط القبور الأفقيَّة التي استُخدمت للدفن الفرديِّ، عدا القبر 27 الذي اتَّخذ هيئة الكهف. كما حُفرت تلك القبور في صفوف منتظمة تبعت التكوين الصخريَّ للمنطقة، وجاءت جميعها متَّجهة نحو الشرق، ومداخلها إلى الغرب.

القبر 27

وكانت أعمال التنقيب في موسم 2007 كشفت عن حوالي 13 هيكلاً عظميًّا لأشخاص ذوي أعمار مختلفة من كلا الجنسَين، عُثر عليها وفق الهيئة التي كانت دُفنت بها، ممَّا يشير إلى عدم إعادة استخدام تلك المقابر في فترات لاحقة.

تلك المقابر ربَّما تعرَّضت للنهب بُعَيد عمليَّة الدفن بقليل، وقبل أنْ يتحلَّل الجسد كليَّة، ويقيم الدليل على ذلك وجود العظام مرتَّبة ومتَّصلة على نحو يظهر الهيكل كاملاً.

ويمكن تأريخ هذه المقابر إلى نهاية العصر الرومانيِّ وبداية

العصر البيزنطيِّ، وذلك استنادًا إلى بعض الكسر الفخَّاريَّة، وشكل المقابر المميَّز لهذه الفترة، والذي يشابه المقابر التي نقِّب عنها في موقعَي صَعَد ويَعْمون. كما يمكن تأريخ الهياكل العظميَّة، أوَّليًّا، إلى الفترة الزمنيَّة ذاتها، إلى أنْ يُحقَّق تأريخها بالكربون المشعِّ.

أمَّا فيما يتعلَّق بالهيكلَين المستكشفَين في القبر 46؛ فقد أشار النجَّار وروز في دراسة أوَّليَّة إلى تميُّز هذين الهيكلَين من غيرهما في نمط الغذاء، وفي طريقة دفنهما في هيئة القرفصاء، بينما جاءت الهياكل العظميَّة الأخرى ممدَّدة. ويُذكَر أنَّ بعض الهياكل العظميَّة وُجدت شبه كاملة، وبحالة جيِّدة، أمَّا بعضها الآخر؛ فقد تحلَّل بعض أجزائها بفعل العوامل الطبيعيَّة، مثل الرطوبة ومياه الأمطار.

وفيما له صلة باللقى الأثريَّة المستكشفة في موسم التنقيب 2007؛ أظهرت أعمال التنقيب فقر هذه المقابر، وخلوَّ بعضها من المرفقات الجنائزيَّة، خلا عدد قليل من الأساور النحاسيَّة، ومسكوكة واحدة، وكأس زجاجيٍّ متكسِّر، وأربع خرزات، وجزء علويٍّ لخاتم فضِّيٍّ. ولعلَّ ما يفسِّر هذه الظاهرة، نهبُ المقابر الذي يرجع بجذوره إلى عصور تاريخيَّة قديمة، فقد ذهب النجَّار وروز إلى القول إنَّ

أهداف مستقبليَّة

يُعدُّ هذا المشروع حلقة من حلقات المشروع الأكبر "دراسة أثريَّة بيولوجيَّة لشمال الأردنِّ"، والذي يشمل التنقيبات الأثريَّة في مواقع صَعَد، واليَصيلة، ويَعْمون، ووادي ناطْفة. ويهدف المشروع إلى تحديد النمط الغذائيِّ لدى سكَّان تلك المواقع، والوضع الصحيِّ للقرويِّين فيها، والأمراض التي انتشرت في العصور القديمة، ومعرفة متوسَّط عمر الإنسان إبَّان المراحل المختلفة.

بَرسينيا

موسم التنقيب الأثريِّ الأوَّل 2006

لمياء الخوري

ترجمة: ماهر أبو طربوش

بَرسينيا، تقع في الشمال الغربيِّ من الأردنِّ، على بعد 15 كيلومترًا غرب إربد، و1.5 كيلومترًا إلى الشرق من قرية دير السِّعنة. وكان الرحَّالة غوتليب شوماخر Gottlieb Schumacher أوَّل من ذكر الموقع، وكان ذلك في القرن التاسع عشر. ثمَّ جاء على ذكره نلسون غلوك Nelson Glueck. وفي عام 2005، شملت المسوحات الأثريَّة لمنطقة غرب إربد موقع بَرسينيا.

وفي شهر تمُّوز من عام 2006، بدأ فريق من كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك، بإشراف لمياء الخوري، أعمال الموسم الأوَّل من التنقيب الأثريِّ في موقع بَرسينيا، بالتعاون مع دائرة الآثار العامَّة. وقد تألَّف فريق العمل من محمَّد جرادات، وماهر أبو طربوش، وعلي الرحابنة، وحسين ديباجة مصوِّرًا، وموفق بطاينة مسَّاحًا، وعدنان النقرش مندوبًا عن دائرة الآثار العامَّة. وهدف المشروع إلى تدريب طلبة قسم الآثار بالكليَّة على أعمال التنقيب الميدانيِّ التي جرت بمساعدة عمَّال من أهالي المنطقة.

وقد تركَّزت أعمال التنقيب في منطقة المدافن A جنوب شرق الموقع، وفي المنطقة A في الجانب الغربيِّ من الموقع، حيث كشف عن بقايا عمائريَّة ذات طابع سكنيٍّ، تكوَّنت من عدد من الغرف التي امتدَّ سكناها من الفترة الهلنستيَّة وحتى العصر الأمويِّ دون انقطاع، مع إجراء بعض التعديلات عليها، فقد شهدت تلك المساكن عمليَّات إعادة بناء في مراحل زمنيَّة مختلفة، كان إغلاق بعض مداخل الغرف، وبناء مداميك الجدران العلويَّة من حجارة تفاوتت قياساتها، ونوعيَّتها، وجودة بنائها، دليلاً على ذلك. وقد أنشئت جدران تلك المساكن بجودة متوسِّطة، إذ بنيت غالبيَّتها من حجارة جيريَّة مشذَّبة وغير مشذَّبة. وكانت الأرضيَّات المبلَّطة من العصرَين البيزنطيِّ والأمويِّ أكثر تلك المعالم أهميَّة. وقد أصاب الخراب بعضها، بينما حُفظ بعضها الآخر؛ إذ قد كان عولج بالمونة الجيريَّة، إلا أننا نقع على أرضيَّة سليمة في غرفة واحدة فقط.

البقايا العمائريَّة في منطقة التنقيب A

وكشفت أعمال التنقيب في السويّات الدنيا من بعض المربّعات عن سكنى مبكّرة ترجع إلى العصر الحديديّ والفترة الهلنستيّة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد دلّت اللقى الأثريّة المنتشرة على السطح على أنّ بَرسينيا قد سُكنت منذ العصر الحديديّ وحتّى العصر العثمانيّ؛ وقد عثر في الطبقات التي ترجع إلى العصر الحديديّ والفترة الهلنستيّة على حفرتين لتخزين الحبوب، بنيتا من حجارة صغيرة ومتوسّطة الحجم.

وفي المربّعات التي تتبّع التنقيب فيها الصخر الطبيعيّ، كُشف عن اختلاط في الطبقات الدنيا التي ترجع إلى العصر الرومانيّ وبدايات العصر البيزنطيّ، حيث لوحظ أنّ الأرضيّات المبلّطة التي بنيت في بدايات العصر البيزنطيّ قد دمّرت في نهايات العصر البيزنطيّ، والعصر الأمويّ. وتشاهد آثار الأرضيّات المدمّرة على جوانب الجدران، بينما لا يزال بعض أجزائها سليمًا. ويقود ذلك إلى استنتاج أنّ تلك الأرضيّات قد بنيت في بواكير العصر البيزنطيّ، وأنّ الجدران الأقدم منها قد استخدمت أساسات لأبنية هذا العصر. إلا أنه وفي نهايات العصر البيزنطيّ وبدايات العصر الأمويّ، أعيد استخدام الأبنية البيزنطيّة المبكّرة، مع إجراء تعديلات على طريقة توزيع الغرف؛ فقد أزيلت بعض الأرضيّات المبلّطة، واختلطت الطبقات السفلى (الرومانيّة) التي تأتي أسفل الأرضيّات البيزنطيّة المبكّرة مباشرة، وأعيد استخدام حجارة التبليط في إغلاق المداخل التي تعود إلى مراحل سابقة، وفي بناء المداميك العلويّة للجدران. وهذا ما يفسّر وجود كسر فخّاريّة بيزنطيّة متأخّرة وأمويّة أسفل الأرضيّات المدمّرة.

وفي منطقة المدافن A، كُشف عن أربعة أنماط من المدافن:

- مدافن حجرة مركزيّة ذات مدخل بئريّ.
- مدافن حجرة مركزيّة ذات مدخل أفقيّ.
- قبر فرديّ بسيط مقطوع في الصخر.
- قبر تذكاريّ مبنيّ.

أمّا البقايا العظميّة التي عثر عليها في تلك المدافن؛ فكانت مكسّرة كليّة. وقد اشتمل المدفن رقم 1 على ثلاثة قبور، الأوّل فرديّ يقع إلى جانب المدخل البئريّ، وعلى الجانب الآخر للمدفن، ثمّة حجرة دفن اشتملت على قبرَين. كما اشتمل المدفن رقم 2 على حجرة دفن ذات مدخل أفقيّ يقود إلى باب واسع ثمّ درج يفضي إلى حجرة الدفن التي اشتملت

على ثلاثة قبور فرديّة مستطيلة قطعت في الواجهة الداخليّة على هيئة تجاويف جداريّة ارتفعت عن مستوى سطح أرضيّة المدفن.

أمّا المدفن رقم 4؛ فهو ضريح شيّد من الحجر الجيريّ المشذّب، حيث عثر على مدماكين من الجدران الخارجيّة للبناء، وقد بني في وسطه قبر من الحجارة الجيريّة المشذّبة جيّدًا، رُصفت أرضيّته ببلاطات حجريّة غير منتظمة. وتجدر الإشارة إلى وجود مدخل باتجاه الغرب، بقيت منه العتبة السفليّة فقط. ويعدُّ هذا المدفن نوعًا جديدًا من المدافن في بَرسينيا.

الشبكة المتوسِّطيَّة لتوثيق النقوش

محاولة في سبيل رصد التراث الماديِّ في الأردنِّ

هاني هياجنة

يشارك قسم النقوش بالكليَّة منذ بداية سنة 2007 ثلاثة أطراف دوليَّة، وبدعم من الاتحاد الأوروبيِّ، بمشروع دوليٍّ بعنوان "الشبكة المتوسطيَّة لتوثيق النقوش (الكتابات الأثريَّة القديمة) وفهرستها". ويندرج هذا المشروع ضمن البرنامج الإطاريِّ السادس لدى الاتحاد الأوروبيِّ FP6 في مسعى لإكمال النطاق البحثيِّ الأوروبيِّ، وتدعيمه من خلال اتخاذ تدابير ومعايير تسهم في دعم التعاون الدوليِّ، علمًا بأنَّ هذا البرنامج يهدف إلى الارتقاء بالتعاون التقنيِّ وتبادل الخبرات بين البلدان الأوروبيَّة، وتلك الواقعة على الجهة الجنوبيَّة من حوض المتوسِّط.

تعدُّ النقوش، أو الكتابات الأثريَّة القديمة في منطقتنا، من أهمِّ المصادر التي يستند إليها الباحثون والمختصُّون بالآثار في استسقاء مادَّتهم لفهم الأبعاد الحضاريَّة المختلفة حول الشرق الأدنى القديم؛ فهي تسهم في تأريخ المواقع الأثريَّة، ولا تقلُّ أهميَّة في قيمتها عن أهميَّة المباني الأثريَّة والفخَّار وغيرها من اللقى الأثريَّة، كما أنها تضع الموقع الأثريَّ في سياقَيه التاريخيِّ والحضاريِّ الصحيحين؛ فإذا عُثر على نقش في طبقة أثريَّة معيَّنة، فإنه بنصِّه ومحتواه سيجيب حتمًا عن أسئلة كثيرة كانت تدور أصلاً في ذهن الآثاريِّ، لذا فإنَّ النقوش بهذا المفهوم الحضاريِّ البحت، الذي لا يلتفت إلى الجوانب اللغويَّة الصرفة فقط، بل إلى أبعاد أخرى يمكن استظهارها في النقش، الاقتصاديَّة منها والتاريخيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، مصدر لا مفرَّ من الاسترشاد به في فهم سياق المخلَّفات الماديَّة الأثريَّة للإنسان، فكما يُؤرِّخ الموقع الأثريُّ بالفخَّار، فإنَّ الدور نفسه تؤدِّيه النقوش في أحيان كثيرة، وعلى نحو أدقَّ وأعمق.

نبعت فكرة المشروع نتيجة اتصالات كانت تجري مسبقًا بين ممثلي الأطراف الأربعة بجامعة بيزا بإيطاليا، وجامعة اليرموك، والمتحف البريطانيِّ بلندن، وجامعة القديس يوسف بلبنان، بعد إدراكهم كمختصِّين في الدراسات الأثريَّة الصعوبات التي تعتري جعل مادَّة النقوش متاحة ومتوافرة للباحثين، الأمر الذي يؤدِّي في كثير من الأحيان إلى الركون إلى حجَّة عدم جدوى هذا المصدر المهمِّ لفهم التاريخ الحضاريِّ للشرق الأدنى القديم، واقتصاره بالتالي على الباحثين من ذوي الاختصاص الدقيق في هذا الحقل من الدراسات الأثريَّة. فكان الهدف الرئيس للمشروع إنشاء مَكْنَز إلكترونيٍّ (قاعدة بيانات) يمكِّن المختصِّين والباحثين والمهتمِّين من الولوج فيه بيسر وسهولة، وذلك بعد الانتهاء من مراحل الفهرسة والتبويب والتوثيق باعتماد الأسس الإلكترونيَّة، للتمكُّن بالتالي من استظهار نقوش في أماكن عدَّة متفرِّقة، هي المتحف البريطانيُّ والأردنُّ

ولبنان، وقد استدعى ذلك اشتراك مختصّين بدورات تدريبيَّة وورش مختصَّة لإيجاد وسائل وطرائق تمكّن من استعمال الموقع الإلكترونيِّ المقرَّر إنشاؤه لهذا الغرض.

اشتركت بهذا المشروع أربع جهات دوليَّة، جامعة اليرموك، والمتحف البريطانيُّ بإنجلترا، وجامعة القديس يوسف بلبنان، وجامعة بيزا بإيطاليا ممثلة بدائرة الدراسات القديمة والتاريخيَّة، ومعهد الدراسات الحاسوبيَّة المدعِّمة للعلوم الإنسانيَّة SIGNUM. ويقوم بالتنسيق في كلِّ بلد باحثون مختصُّون بدراسات الشرق الأدنى القديم وتراثه: أليساندرا أفانزيني ممثلة جامعة بيزا بإيطاليا، وهاني هياجنة ممثل جامعة اليرموك، وسانت جون سِمْبْسُن ممثل المتحف البريطانيِّ، وسوزي حكيميان ممثلة جامعة القديس يوسف بلبنان، فالأطراف الأربعة لديها مجتمعة خبرة عميقة وممارسة كافية لتغطية المشروع بكافَّة أبعاده، النظريَّة منها والعمليَّة، فعُهِدت إليها أدوار تكمِّل بعضها بعضًا.

إنَّ المشروع الذي يمتدُّ لفترة سنتين (2007-2008) يمكن عدَّه إرهاصة أولى في سبيل البدء بنقلة نوعيَّة في حقل توثيق النقوش (الكتابات الأثريَّة القديمة) وفهرستها إلكترونيًا، بعد أنْ كانت دراستها والبحث فيها سابقًا مقتصرتين على المختصِّين اختصاصًا دقيقًا وحسب، إذ يؤمل من هذه المحاولة توسيع دائرة المستفيدين من النقوش كمصادر حضاريَّة وثقافيَّة، سواء كانوا من الآثاريِّين، أو المؤرِّخين أو غيرهم. ولما كان للمعهد الإيطاليِّ المذكور آنفًا خبرة واسعة في هذا المجال، لا سيَّما في توثيق النقوش العربيَّة الجنوبيَّة القديمة، ونشرها في موقع إلكترونيٍّ خاصٍّ http://csai.humnet.unipi.it؛ فقد كان من الضروريِّ العمل على تطبيق هذه التجربة لتشمل مناطق أخرى من الشرق الأدنى القديم، كالنقوش الأردنيَّة مثلاً، من عربيَّة شماليَّة قديمة، ونبطيَّة، وكنعانيَّة بفروعها المختلفة، لذا فإنَّ الجانب الذي يخصُّ جامعة اليرموك من المشروع يرمي بالدرجة الأولى إلى توثيق التراث الماديِّ الكتابيِّ لرقعة جغرافيَّة حدِّدت حتَّى الآن بالنطاق الجغرافي المتمثل بالأردنِّ، على أنْ يشمل مستقبلاً مناطق أخرى من الشرق الأدنى القديم. ويحدوني وزملائي في كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا الأمل بأنْ يكون هذا المشروع برؤيته الحاليَّة، ونتائجه المتوخَّاة، نواة مستقبليَّة لما طمحنا إليه عبر العقود الثلاثة الفائتة بإنشاء مَكْنَز إلكترونيٍّ "للنقوش الأردنيَّة"، إذ ستمثل هذه المدونة جزءًا مهمًّا من جهود وطنيَّة لصيانة التراث الماديِّ وغير الماديِّ للأردنِّ؛ فالنقوش، كما ذكرنا، مَثَلُها مَثَل اللُّقى الأثريَّة، تسهم إسهامًا كبيرًا في تأريخ المواقع الأثريَّة، وفهم الخلفيَّات الاجتماعيَّة والتاريخيَّة والدينيَّة والاقتصاديَّة لمن قاموا ببناء تلك المواقع الأثريَّة وحلُّوا بها.

Accessing our past
http://mencawar.humnet.unip.it

قامت جامعة بيزا، بحسبها تدير المشروع بأطرافه الأربعة، بتنظيم الدورات التدريبيَّة، وتدريب المشاركين على كيفيَّة فهرسة النقوش إلكترونيًّا. ويعكف فريق من جامعة بيزا الإيطاليَّة الآن، وبالتعاون مع الفريق الإنجليزيِّ، على توثيق مجموعة النقوش العربيَّة الجنوبيَّة القديمة المحفوظة في المتحف البريطانيِّ، إذ تعدُّ هذه المجموعة من أكبر المجموعات المتحفيَّة المحفوظة خارج الجزيرة العربيَّة، وعند الفروغ من حصرها وتوثيقها ستصبح متاحة عبر الشبكة الإلكترونيَّة للولوج فيها، والانتفاع منها في البحث والدرس. بينما يعكف فريق أردنيٌّ مختصٌّ على توثيق نقوش نبطيَّة، وعربيَّة شماليَّة قديمة، وكنعانيَّة، حدَّدها أطراف المشروع بالاتفاق فيما بينهم. ويقوم فريق لبنانيٌّ ثالث بتوثيق النقوش الفينيقيَّة من لبنان.

علاوة على ما ذُكر من أهداف علميَّة وبحثيَّة بحتة، فإنَّ المشروع يروم نشر المعلومات حول الشرق الأدنى القديم، وبثها على نطاق أوسع، ممَّا يفتح الباب أمام فرص التعاون بين دول الاتحاد الأوروبيِّ والدول المتوسِّطيَّة، ويعضِّد المعرفة بين الباحثين المعنيِّين بفهرسة النقوش في المنطقة المتوسِّطيَّة،

ويعمل على التعريف بأفضل الطرائق حول فهرسة النقوش وتغذية الشبكة الإلكترونيَّة بها، والتي ستكون وسيلة تُستخدم مستقبلاً لفهرسة نقوش مناطق أخرى من الشرق الأدنى. إنَّ كلَّ الأهداف المَسوقة آنفًا تسهم بالتالي في تطوير إمكانات توثيق التراث الثقافي والارتقاء بها.

قُسِّم العمل في المشروع على الأطراف المعنيَّة إلى حُزم سبع لضمان توزيعها بما يتناسب وإمكانيَّاتها؛ فحزمة العمل الأولى تعمل على تسهيل الاتصال بين الأطراف المشاركة، ورصد تطوُّر العمل في المشروع، وتزويد الاتحاد الأوروبيِّ بالمستجدَّات، وضمان أنَّ الأهداف المبتغاة من المشروع آيلة إلى التحقيق. إنَّ اللقاءات بين أطراف المشروع، الرامية إلى مراجعة تطوُّره، تعدُّ من أهمِّ معالم إدارته، إذ أنَّ الإدارة الحكيمة ستتمخَّض حتمًا عن مشروع بهدف محوريٍّ تُنجَز فيه الأهداف التي وُضعت مسبقًا، لا سيَّما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار البيئة التي يسير فيها المشروع والمصادر المتاحة. أمَّا حزمة العمل الثانية؛ فتهدف إلى ضمان تساوق العمليَّات التدريبيَّة للمشروع مع المنهجيَّات المحدَّدة، إضافة إلى ضمان إمكانيَّة أنْ تقوم كلُّ الأطراف بإنجاز مهمَّاتها باستعمال الوسائل التي حدَّدها المشروع. لذا فإنَّ الدورات التدريبيَّة ستعمل على تذليل المشاكل العلميَّة والمنهجيَّة التي تعترض مسيرته، في تحليل النقوش مثلاً، ومن ثمَّ التدريب على وظيفيَّة الوسائل التي أنجزها المشروع بهدف الفهرسة الإلكترونيَّة، وطريقة استخدامها. أمَّا حزمة العمل الثالثة؛ فتتركَّز حول ضمان أنْ تقوم أطراف المشروع بتبادل المعرفة فيما بينها، والاستنارة بها، ثمَّ ضمان انتشار المعرفة وتبادلها بين الأطراف الأربعة وبقيَّة المهتمِّين بالموضوع نفسه، وذلك من خلال حلقات دراسيَّة ومحاضرات تعقد في بداية المشروع. إنَّ مشروعًا كهذا لا يقتصر على البعد العلميِّ الأكاديميِّ البحت، فهو يمسُّ بطريقة غير مباشرة مسألة المحافظة على التراث ومصادره، ويسبر أغوار إمكانيَّات إدارته، وأهميَّة التوثيق الإلكترونيِّ له. أمَّا حزمة العمل الرابعة؛ فعمليَّة وتطبيقيَّة بحتة، وتهدف إلى تأسيس وسائل تسمح للباحثين المعنيين بالمشروع نقل أحرف النقوش التي كتبت بها أصلا إلى الألفبائيَّة المستخدمة المطوَّرة لأغراض المشروع، ومن ثمَّ تحليل النقوش وفهرستها، وذلك بتحديد الطرائق النموذجيَّة التي يمكن بوساطتها وصف النقش والعناصر التي يحتويها، وتحديد البرامج الإلكترونيَّة المتعلّقة بالفهرسة وتطبيقها على النقش، ويتبع ذلك إنشاء قاعدة بيانات إلكترونيَّة تكون متاحة عبر الشبكة الإلكترونيَّة. أمَّا حزمة العمل الخامسة؛ فمهمتها تحديد النقوش التي ينبغي إدراجها في الفهرس الإلكترونيِّ، وبيان العناصر المعتمدة لفهرسة النقوش، من حيث أنماطها ونوعها، ومادَّتها، ومن ثمَّ تحديد عناصر محتوى النقوش التي ينبغي أنْ تؤخذ بعين الاعتبار عند الفهرسة، فكان على الأطراف المشارِكة أنْ تحدِّد مجموعات النقوش التي ستدرج في قاعدة البيانات، بحسب المجموعات النقشيَّة المتوافرة في كلِّ بلد، وبالتالي تحديد ملامحها، ومحتوياتها، وعناصرها النَصِّيَّة، للتمكُّن بعد ذلك من البحث عنها بمحرِّك البحث الإلكترونيِّ الذي طوَّره المشروع. أمَّا حزمة العمل السادسة، وهي من الخطوات النهائيَّة؛ فتركِّز على عمليَّة فهرسة النقوش ذاتها، وتنطوي على سَوْقِ معلومات عامَّة عن النقش، والمنشورات التي صدرت حوله، وكتابته، ونقل حروفه، وترجمته، وأوصافه الماديَّة. وبالتالي نكون أمام النتيجة المنشودة، ألا وهي تأسيس كتالوج شامل لكلِّ النقوش المختارة من البلدان المعنيَّة، وإنشاء أرشيف للنصوص تتوافر فيه إمكانيَّة الولوج في محتوياته إلكترونيًّا. أمَّا حزمة العمل السابعة؛ فمهمَّتها بثُّ النتائج ونشرها لضمان أنَّ رؤية المشروع المحدَّدة أصلاً أصبحت معروفة ومفهومة قدر الإمكان، فالنشر والإعلان يضمنان انتشار نتائج هذا المشروع في أوروبا، والمناطق المحيطة بحوض المتوسِّط، وفي بقيَّة أنحاء العالم، ومن أجل هذا الغرض أُنشئ الموقع الإلكترونيُّ. علاوة على ضرورة إشهار نتائج هذا المشروع في سياق المشاركة بالمؤتمرات العلميَّة ذات العلاقة، وتنظيم الورش، وذلك بهدف بثِّ التراث الثقافي المشترك بين أوروبا والمناطق المتوسِّطيَّة.

الذاكرة الثقافية لأسماء الأماكن في منطقة بني كنانة

وتوثيق التراث غير الماديّ في شمال الأردنّ

هاني هياجنة، إيلي وارديني، محمَّد عبابنة

يقوم هذا المشروع بالتعاون بين قسم النقوش بكليَّة الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك وقسم الدراسات الشرق أوسطيَّة بجامعة ستوكهولم في السويد، بدعم من الوكالة السويديَّة للتنمية الدوليَّة SIDA، ويديره ويشرف على تنفيذه العلميِّ هاني هياجنة ومحمَّد عبابنة من كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا، وإيلي وارديني من جامعة ستوكهولم. نبعت فكرة المشروع أصلاً نتيجة اتصالات مسبقة بين الفريقين في كلتا المؤسَّستين، وذلك في مسعى منهما لاستكناه الذاكرة الجغرافيَّة التاريخيَّة لمنطقة بني كنانة بشمال الأردنِّ اعتمادًا على أسماء الأماكن وما يرتبط بها من روايات شعبيَّة ولهجات كونها مصدرًا من مصادر التراث غير الماديِّ الذي تناقلته الأجيال تباعًا، فهو مصدر لم يلتفت إليه إلا القليل من مختصِّي التراث ومؤرِّخي حضارة الشرق الأدنى القديم.

لم يتنبَّه المشتغلون في التراث الماديِّ وغير الماديِّ في الشرق الأوسط، حتَّى من كان منهم مختصًّا في الجغرافيا التاريخيَّة، إلى أهميَّة هذا الحقل العلميِّ، في حين فاقنا الآخرون في أوروبا بأشواط شاسعة؛ فنظرًا لأهميَّة هذا الفرع من دراسات التراث، عَمدت الحكومة البريطانيَّة مثلاً إلى إنشاء "جمعيَّة أسماء الأماكن الإنجليزيَّة"، والتي صدر عنها ما ينوف عن الستِّين مجلدًا، تتناول في مجملها أسماء الأماكن في النطاق الإنجليزيِّ، وربَّما يفيد القول بأنَّ ثمَّة مجلاَّت أوروبيَّة محكَّمة تُعنى بهذا الباب من دراسات التراث، اقتصرت حتَّى الآن على دراسات أسماء الأماكن في النطاق الجغرافي الأوروبيِّ.

هدف المشروع كذلك إلى البحث فيما تتيحه لنا الأسماء في فهم ديمومة الماضي بالحاضر، لا سيَّما أنَّ الذاكرة الشعبيَّة للناس تحتفظ غالبًا بتراث يحمل قيمًا ورثوها عن أسلافهم، ومن جهة أخرى يرمي المشروع إلى تجديد المادَّة المنشورة حول هذا الموضوع، والارتقاء ببحث أسماء الأماكن في الأردنِّ، واعتبار منطقة بني كنانة حالة دراسيَّة تستحقُّ البحث، مع الأخذ بعين الاعتبار مستجدَّات هذا الحقل وما صدر حوله من منشورات منذ نشأة البحث فيه، إذ من المعلوم أنَّ البحث في أسماء الأماكن في إطار الدراسات المتصلة بتراث الشرق الأدنى، قد شهد انتعاشًا في العقدين الفائتين، بعد أنْ كانت دراسته مقتصرة لحقبة طويلة على حقل الدراسات الهندوجرمانيَّة.

كان مبعث الاهتمام بهذه المنطقة تحديدًا يتمثل في كونها جزءًا من أكثر الرقع الجغرافيَّة التي عاشت تقلُّبات حضاريَّة في منطقة بلاد الشام، وكما هو معلوم فإنَّ الأقاليم التي شهدت عبر التاريخ نشاطًا استيطانيًّا ملحوظًا، كالأردنِّ مثلا، تُعدُّ ذات أهميَّة للدرس التاريخيِّ واللغويِّ والحضاريِّ، لا سيَّما فيما يتَّصل بثروة أسماء الأماكن المـُدَّخرة فيها، إذ كانت هذه المناطق على مرِّ الزمن

عرضة لتغيرات تاريخيَّة وديموغرافيَّة كثيرة، وثقافات حضاريَّة متباينة، فكان لا بدَّ أنْ تسود فيها لغات مختلفة، نجد آثارها الباقية جليَّة في أسماء الأماكن، ببنيتها ودلالتها، على الرغم من بعد الشقة الزمنيَّة بين بنيتها وطريقة نطقها المعروفة على ألسنتنا اليوم من ناحية، وأصولها الأولى المغرقة في القدم من جهة أخرى، فها هي تلك الأسماء تتراءى أمامنا بعد أنْ ارتحلت في الزمن آلافًا من السنين، لتصلنا على هيئة يتساءل عنها غير المختصِّين مستغربين! فلم يَدُر في خلدهم ولو للحظة أنها قطعت، وبصمت، رحلة طويلة مضنية لتصلنا وتبلغنا بتاريخ صمدت عبره مجتازة عثرات وتقلُّبات تَتْرى، في حين لم يكن للمخلَّفات الأثريَّة الماديَّة الأخرى، كالفخَّار والمباني والتماثيل، حظٌّ في الصمود أمامها؛ فعلى المستويين التأصيليِّ (الإتيمولوجيا) والصرفي (المورفولوجيا) - وهما من أهمِّ الطرائق المعتمدة للسبر التاريخيِّ، أو لإجراء حفريَّات في غوْر تلك الأسماء والمفردات لاستنطاق دلالتها وتلمس صيغتها - فإننا نرجِّح أنَّ ثمَّة أسماء أماكن تبدأ من طبقات لغويَّة يمكن إرجاعها تاريخيًّا إلى بداية الاستيطان البشريِّ في المنطقة، من مكان وزمان لم تصلنا منهما أصلاً أيَّة شواهد ماديَّة مكتوبة، والدليل على ذلك أنه ما كان ممكنًا ردُّ أصلها إلى أيَّة طبقة لغويَّة معروفة من اللغات التي سادت في الشرق الأدنى، نحو الكنعانيَّة والآراميَّة، والعربيَّة، واليونانيَّة، واللاتينيَّة مثلاً، إمَّا لأنها ترجع إلى لغة سادت في المنطقة في العصور الغابرة ثمَّ بادت دون أن تصلنا منها آثار، وإمَّا لبطلان استعمالها كمفردة معجميَّة في لغات الشرق الأدنى الباقية، سواء ما وَجد من هذه اللغات طريقه إلى التدوين والتوثيق على شكل نقوش وغير ذلك، أو تلك التي سلكت طريقًا كلغة أو لهجة بقيت محكيَّة على ألسنة الناس حتَّى عصرنا الحاضر، فتجدنا عاجزين عن تفسيرها تأصيليًّا، ومن ثم صرفيًّا. وبالفعل، فإننا نجد بعد الدراسة أنَّ بعض أسماء الأماكن من دون الأخرى، كأسماء الأودية أو الأنهار أو الجبال، قد اتسمت بالمحافظة على كينونتها وشكلها المغرق في القدم، على الرغم من الظروف السياسيَّة والتاريخيَّة والعرقيَّة والاجتماعيَّة التي اجتازتها ومرَّت بها عبر الزمن، ونضرب مثلاً على ذلك اسمي نهر اليرموك ونهر الأردنِّ، فقد حار العلماء في أصل هاتين التسميتين ومكنوناتهما الدلاليَّة.

إنَّ دراسة أسماء الأماكن تتشعَّب وتتفرَّع لتمتدَّ بأذرع تطال أطرًا معرفيَّة مختلفة، كاللغة، والتاريخ، والاجتماع، والأنثروبولوجيا، والسياسة، والدين، فالاسم ينطوي على أبعاد تتصل من قريب أو بعيد بتلك الأطر بلا شكٍّ، والعلاقة بينها وبين أسماء الأماكن متبادلة؛ ففي حين تسهم تلك المعارف في تعبيد الطريق لإرساء مهاد نظريٍّ لدراسة أسماء الأماكن، فإنَّ الأخيرة تسهم بدورها وبنفس العمق في إلقاء مزيد من الضوء على تلك النواحي التي نروم البحث فيها، والتثبُّت منها، وفهمها، في منطقة جغرافيَّة معيَّنة ذات سياق اجتماعيٍّ وسياسيٍّ ولغويٍّ ودينيٍّ معيَّن، كمنطقة بني كنانة مثلاً، فعلى سبيل المثال لا الحصر، إذا ما صادفنا اسم مكان تركيٍّ في منطقة بني كنانة، فإنه سرعان ما يتبادر إلى أذهاننا خضوعها سابقًا تحت سيطرة الحكم العثمانيِّ، فتلك نتيجة تنطوي على بعد سياسيٍّ تاريخيٍّ، والقاعدة نفسها تنطبق على الأسماء ذات الأصل الآراميِّ مثلاً، كأسماء "ملكا"، و"حَرْتا"، و"رَحْتَا" المنتهية بأداة التعريف الآراميَّة الألف نهايتها، فهذا النمط من الأسماء يعود حتمًا إلى طبقة لغويَّة وحضاريَّة قديمة سيطرت فيها دولة آراميَّة ما على المنطقة، وقِس على ذلك الأسماء العائدة إلى أصول كنعانيَّة، مثل "عِزْرِيْت"، و"جَبَتون"، و"عجلون"، و"بدِّم"، أو إلى أصول يونانيَّة، أو لاتينيَّة، أو فرنسيَّة، أو إنجليزيَّة أو غيرها. وإذ ما عثرنا على اسم مكان يشير معناه إلى اسم معدن، نحو "ذْراع كَبَر" و"رُودَس"، أو نبات، نحو "أبو الجزل" و"أبو العدس" و"السيَّاف"؛ فإننا نتوقَّع أنْ يكون هذا المكان الذي أُطلق عليه ذلك الاسم مصدرًا لذلك المعدن أو مكانًا كَثُر فيه ذلك النبات، والأمر كذلك ينطبق على الأسماء المتصلة بأسماء الآلهة، والأسماء ذات المدلول الدينيِّ، نحو "بْتولا"، و"الدَّجَّان"، و"إيدون"، و"شَمَشَان"، فلعلَّنا نعثر على اسم مكان في منطقة بني كنانة كنَّا قد عرفناه في النقوش القديمة كاسم لإله مثلاً، فيجوز لنا عند ذلك أنْ نطرح افتراضًا بأنَّ هذا الاسم

دلَّ على مكان دينيٍّ بالأصل، ولسنا في موقع المبالغة إنْ قلنا بأنَّ هذا الخبر يحفز علماء الآثار على البحث في هذا المكان عن مرفق دينيٍّ، كمعبد أو غير ذلك.

وليس من نافلة القول أنَّ هذا النوع من الدراسات يشبه إلى حدٍّ ما، في منهجيَّته ونتائجه، علم الآثار، فكلُّ مربَّع أثريٍّ يشتمل على عدد من الطبقات الأثريَّة المتتابعة بعضها فوق بعض ممثلة بذلك مراحل تاريخيَّة متباينة في الزمن والغنى الحضاريِّ، ولعلَّ ذلك حال أسماء الأماكن أيضًا، فحالما يُشرع بسبر غور الاسم، بعد التسلُّح بالأدوات المناسبة لعمليَّة تحليله، كمعرفة اللغات القديمة، والمعاجم، والمعلومات الحضاريَّة، لبيان مبناه ومعناه، في ضوء النقوش ولغات الشرق الأدنى القديم، سرعان ما تتجلَّى أمامنا صورة طبقيَّة واضحة له، فنرى أنه مَرَّ بدوره بمراحل تاريخيَّة، كان لكلٍّ واحدة منها الدور في إلباسه ثوبًا مختلفًا في شكله ولونه كلَّ مرَّة، ممَّا انعكس على صيغته الصرفيَّة والصوتيَّة بالدرجة الأولى، فهناك الكثير من أسماء الأماكن الآراميَّة أو الكنعانيَّة التي عُرِّبت بعد المدِّ الإسلاميِّ في المنطقة، فاكتسب الاسم بذلك صبغة صرفيَّة عربيَّة تمثل الطبقة التاريخيَّة الأخيرة مع محافظته على بعض آثار من الطبقة الكنعانيَّة الأصليَّة، وربَّما اختفت الآثار الصرفيَّة للطبقة الكنعانيَّة من هذا الاسم، ولكنْ مع الاحتفاظ بمعنى الاسم الذي كان معروفًا في الكنعانيَّة قديمًا. وفي أحيان أخرى لا يستطيع المرء تمييز الاسم فيما إذا كان يعود إلى طبقة آراميَّة أو عربيَّة، وذلك لأنَّ اللغتين ترجعان في أصلهما إلى نبع واحد. وبعبارة أخرى، فإنه إذا اعتبرنا أسماء الأماكن مصدرًا مهمًّا من مصادر التراث الثقافي غير الماديِّ، فإنها تماثل في قيمتها المواقع واللقى الأثريَّة والأماكن التاريخيَّة كمصادر للتراث الماديِّ، بما تنطوي عليه من مدلولات حضاريَّة وتاريخيَّة؛ فنحن في هذا الاسم أو ذاك أمام مفردة تاريخيَّة مرَّت بأطوار تاريخيَّة كثيرة، كان لكلِّ طور فيها دور في تشكُّل تاريخ الاسم وهيئته، فقد حمل ذلك الاسم في طيَّاته تاريخًا طويلاً، لم يستطع الإنسان أو أيُّ مفردة من مخلَّفاته الماديَّة الحفاظ عليها، فعلى سبيل المقارنة نجد أنَّ الفخَّار الأثريَّ مثلاً، كمخلَّف ماديٍّ، يحتفظ بسمات المرحلة التاريخيَّة التي استعمل فيها وحسب، دون أنْ يكون لها امتدادات عبر الزمن، ما خلا بعض المناطق المنعزلة التي احتفظت بمرور الزمن بتقاليد صناعته القديمة حتَّى العصر الحاضر.

إنَّ دراسات كهذه تتطلَّب تضافر الجهود والتخصُّصات والخبرات المختلفة والمتداخلة، كما أنَّ مشروعًا كهذا لا بدَّ وأنْ يسهم في إنجازه مختصُّون في النقوش، واللغات، والآثار، والتراث، والمساحة، ونظم المعلومات الجغرافيَّة، والبرمجة الحاسوبيَّة. وعلى الصعيد التقنيِّ البحت، يعمل المشاركون بالمشروع من السويد والأردنِّ جاهدين بالاشتراك مع مختصِّين بالحقول المذكورة في الكليَّة على توقيع أسماء الأماكن في المنطقة مدار البحث وإدخالها إلكترونيًّا، للتمكُّن بالتالي من تسهيل مهمَّة الباحثين من الولوج فيها من خلال الشبكة الالكترونيَّة، وعند توسيع نطاق المشروع ليشمل مناطق جغرافيَّة أخرى من الأردنِّ، فإنَّ ذلك سييسِّر عمليَّة المقارنة ورصد الظواهر المتضمَّنة في أسماء المكان، فالتوثيق يرمي بمجمله في نهاية المطاف إلى المساهمة في الحفاظ على جزء من التراث، فأسماء الأماكن ليست إلا منتجًا ثقافيًّا قامت الذاكرة الإنسانيَّة بالمحافظة عليه عبر الزمن، فلا بدَّ لنا من توثيقه وصونه ما استطعنا ونقله إلى الأجيال القادمة.

ويحضرنا ما تسعى إليه منظَّمة اليونسكو (منظَّمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) جاهدة في صون التراث العالميِّ غير الماديِّ، إذ أصدرت ميثاقًا سنة 2003 يرمي إلى تحقيق الهدف المذكور، واضعة نصب أعينها "أنَّ عمليَّتي العولمة والتحوُّل الاجتماعيِّ، إلى جانب ما توفرانه من ظروف مساعدة على إقامة حوار متجدِّد بين الجماعات، شأنها شأن ظواهر التعصُّب، تعرِّضان التراث الثقافي لأخطار التدهور والزوال والتدمير، لا سيَّما بسبب الافتقار إلى الموارد اللازمة لصون هذا التراث".

ظاهرة أثريَّة جيولوجيَّة في حاجة إلى تفسير

طبقة من الحصى تغطي البقايا الأثريَّة قبل حوالي تسعة آلاف عام

زيدان كفافي

طبقة الحصى في عين غزال

طالعت قبل مدَّة ما نشر على صفحات جريدة الرأي عن أنَّ نيزكًا قد كان سقط في الصحراء الأردنيَّة، وبالتحديد في منطقة وقف الصوَّان. وشدَّني الخبر؛ لأنني أعرف جميع أطرافه، كما أنني مدعوٌّ للمساهمة في دراسة أثريَّة لهذه المنطقة. وبما أنني لا أفقه في علوم الجيولوجيا؛ وجدت أنه من الحري أنْ أساهم في النقاش الدائر عن هذه الظاهرة من موقعي كآثاريٍّ، بأنْ أنبِّه المهتمِّين إلى ظاهرة أثريَّة، تتمثل بظهور مفاجئ لعدد من المواقع أطلق عليها دارسو ما قبل التاريخ اسم "القرى الكبيرة" Mega Sites في حوالي 7500 قبل الميلاد حسب تأريخ الكربون الإشعاعيِّ المعايَر (أي حوالي 6500 قبل الميلاد حسب تأريخ الكربون غير المعايَر). تركَّزت هذه المواقع في وسط الأردنِّ وجنوبه، ومن أهمِّها: عين غزال/ عمَّان، ووادي شعيب/ غرب السلط، والصفيَّة/ على وادي الموجب، والبسطة/ معان،

والبسيط/ البترا، وعين الجمام/ رأس النقب، والغوير/ وادي فينان. وتجاوزت مساحة الموقع الواحد المائة دونم، وبنى أهلها العمائر الضخمة، من عامَّة وخاصَّة، وبرعوا في عدد من الصناعات اليدويَّة، ومارسوا طقوسًا دينيَّة. ومن اللافت للنظر أنَّ هذه المواقع عادت فاختفت فجأة في حوالي 7000 قبل الميلاد، عدا موقعَي عين غزال ووادي شعيب.

والسؤال الذي يشغل بال الباحثين هو: ما هي الأسباب التي أدَّت إلى نشأة هذه المواقع الكبيرة؟ وما هي الأسباب التي أدَّت إلى اختفائها سريعًا؟ وثمَّة ملاحظات فرعيَّة أخرى؛ فهذه المواقع تكاد تتركَّز حتَّى الآن في منطقة واحدة (وسط الأردنِّ وجنوبه)، وتتميَّز بمساحاتها الكبيرة، وبالمكتشفات الأثريَّة التي تدلُّ على تقدُّم فكريٍّ وعقائديٍّ وثقافي. أي يمكن أنْ نصف سكَّانها بأنهم "مجتمع مركَّب" بالمفهوم الأنثروبولوجيِّ، علمًا أنَّ مجتمعات أخرى عاصرت هذا المجتمع المركَّب، ولكنَّها كانت أقلَّ مستوى منه، وعاشت في مناطق أخرى، وتطوَّرت تطوُّرًا تدريجيًّا، وليس فجائيًّا.

وأتى الباحثون بآراء شتَّى لتفسير ظهور هذه المواقع الكبيرة في هذه الفترة المتقدِّمة من الزمان، منها أنَّ سكَّان موقعَي عين غزال ووادي شعيب، في وسط الأردنِّ، والذين عاشوا في الفترة التي سبقت المرحلة المتأخِّرة من العصر الحجريِّ الحديث ما قبل الفخار "ب"، أي في حوالي 8200 – 7500 قبل الميلاد (بحسب تأريخ الكربون الإشعاعيِّ المعايَر)، ربَّما وجدوا فيهما مكانًا صالحًا للزراعة والصيد وتربية الحيوان، فأتوا إليها، وأسَّسوا هذه المواقع. ولعلَّ من أسباب نشوء هذه المواقع الكبيرة أيضًا وقوع أكثرها قرب مصادر مائيَّة دائمة، بالإضافة إلى وجود حجر الظران الذي تصنع منه الأدوات الصوَّانيَّة.

وبعد أنْ استقرَّ الناس فيها، تطوَّرت هذه المواقع تطوُّرًا تجاوز تطوُّر المواقع الأخرى؛ فبلغت مساحة موقعَي البسطة وعين غزال، حسب تقديرات المنقِّبين، حوالي 150 دونمًا، وقدِّر عدد سكَّان عين غزال بحوالي 2000-3000 نسمة.

ويرسم باحثون آخرون سيناريو آخر لنشوء هذه المواقع الكبيرة، فيفترضون أنَّ مجموعات بشريَّة جديدة اندفعت إلى المنطقة في المرحلة السابقة لظهور المواقع الكبيرة من مناطق خارج الأردنِّ، عابرة الأودية الواقعة في الشمال، أو تلك التي في الجنوب حتَّى جنوب البحر الميِّت، ممَّا سبَّب ضغطًا سكَّانيًّا هائلاً اضطر هؤلاء للجوء إلى جنوب الأردنِّ والاستيطان فيه، وتأسيس قرى، تضخَّمت واتَّسعت مساحتها، وتطوَّر سكَّانها حتَّى وصلوا إلى درجة من الرقي والتقدُّم فاقت ما عاصرها في المواقع الأخرى. ويظهر أنَّ سكَّان هذه المواقع الكبيرة تأثروا كثيرًا بمَن سبقهم من الناس في الأردنِّ أو في المناطق المجاورة.

ونعتقد أنَّ ظاهرة القرى الكبيرة الراجعة إلى هذه الفترة لم تقتصر على جنوب الأردنِّ، بل عمَّت معظم الأردنِّ. ويدلِّل على هذا ما كشفت عنه الحفريَّات الأثريَّة في موقع أبو الصوَّان بالقرب من مدينة جرش.

ويتساءل الآثاريُّون إنْ كان ظهور مثل هذه المواقع انحصر في الأردنِّ فقط؟ وللإجابة على ذلك، يمكن القول إنَّ مثل هذه المواقع التي هُجرت في الأردنِّ لأسباب لا نزال نجهلها تطوَّرت في مناطق أخرى؛ إذ عُثر على مواقع كبيرة من الفترة اللاحقة لهذه المرحلة في مواقع في وادي الأردنِّ، وغوطة دمشق، وأواسط حوض الفرات، وجنوب شرق الأناضول، أي في المناطق الصالحة للزراعة، لا سيَّما المرويَّة منها.

وأعود هنا إلى خبر سقوط النيزك الذي ذكرته سابقًا، مؤكِّدًا أنني لا أقصد أنْ أقف إلى جانب دون آخر في هذه المسألة، بقدر ما أرمي إلى عرض ظاهرة أخذت تشغل الباحثين في حقول ما قبل التاريخ، والجيومورفولوجيا، والجيولوجيا في الأردنِّ وخارجه. فهل يكون لسقوط هذا النيزك صلة باختفاء هذه المواقع فجأة بعد أنْ سُكِنت مدَّة خمسمائة سنة فقط؟ هنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الآثاريِّين عثروا في هذه المواقع جميعها على طبقة من الحصى، غطَّت المواقع جميعها، بما في ذلك عين غزال ووادي شعيب، لم تعرف أسباب تشكُّلها حتَّى الآن. وعمَّت هذه الطبقة معظم الأردنِّ، حيث غطَّت طبقات العصر الحجريِّ الحديث

الفخاريِّ أحيانًا، أو اختلطت بالكسر الفخَّاريَّة المؤرَّخة لبداية الألف السابع قبل الميلاد (حسب تأريخ الكربون الإشعاعيِّ المعايَر). ومن أفضل الأمثلة على هذا ما عُثر عليه في موقعَي أبو الثوَّاب بالقرب من جامعة فيلادلفيا، وعين راحوب بالقرب من المغيِّر/ شمال شرق إربد. ويذكر الباحثون أنه يصعب، عمومًا، تبيُّن مواقع هذه المرحلة، أي مرحلة "العصر الحجريِّ الحديث ما قبل الفخَّار "ب" المتأخِّر، ولا يحدث ذلك، عادة، إلاَّ عندما تُحدث أعمالُ تجريف قطعًا في الأرض؛ إذ تكون هذه المواقع مغطَّاة بهذه الطبقة الحصويَّة، فيصعب تبيُّن ملامح الموقع من سطح الأرض. ويرى الباحثون أنَّ وجود هذه الطبقة- التي يبلغ سمكُها أكثر من متر في بعض الحالات- هو الذي ساهم في المحافظة على بقاء العمائر قائمة لارتفاعات عالية حتَّى الوقت الحاضر.

ولاحظ المنقِّبون، بعدُ، أنَّ المخلَّفات الأثريَّة الموجودة في هذه الطبقة مغطَّاة بطبقة تكلَّست نتيجة غمرها بالمياه. وهنا يبرز سؤال محيِّر: هل نتج هذا الأمر عن طوفان؟ وللإجابة على هذا السؤال بدأ بعض الدارسين خلال السنوات الماضية بإجراء دراسات أوَّليَّة لسبر أغوار هذه الطبقات، والتي لا يستطيع تفسير وجودها إلا علماء الجيولوجيا.

وخاتمة القول، إنَّ ظاهرة المواقع الكبيرة عُرفت في الأردنِّ بشكل واضح ميَّزها من غيرها في البلدان المجاورة. ولكنَّنا لا نستطيع القول إنَّ هذه الظاهرة لم توجد أو تتكرَّر في المناطق الأخرى. ولعلَّ الحفريَّات الأثريَّة القادمة تكشف معلومات جديدة عن هذه المواقع تساعدنا في تحديد موطنها الأصليِّ، وإن كنا، حتَّى الآن، نحسب أنه الأردنُّ. كذلك نأمل من الزملاء الجيولوجيِّين تفسير وجود طبقة الحصى هذه التي ترتفع في بعض الأحيان لأكثر من متر، وتتركَّز بشكل خاصٍّ في مناطق الأودية، وإفادتنا إنْ كان من الممكن أنْ يكون لهذه الظاهرة علاقة بسقوط نيزك؟ راجيًا أنْ أكون بهذا قد دفعت الزملاء سواء الآثاريِّين أو الجيولوجيِّين إلى مزيد من الحوار حول هذا الموضوع.

القدس قبل الإسلام

مراجعة

عمر الغول

إنْ تأمَّلت الدراسات التي جعلت القدس موضوعًا لها لفت نظرك أنَّ الباحثين انكبُّوا على دراسة تاريخ المدينة انكبابهم على دراسة حاضرها ومستقبلها. ولا عجب في ذلك، فأهميَّة المدينة اليوم ناشئة، في المحلِّ الأوَّل، عن مكانتها التاريخيَّة، فلا يدرس دارس حاضر القدس وهو غافل عن تاريخها، ولا يبحث مؤرِّخ في ماضيها إلاَّ وعينه على حاضرها، حتَّى غدت دراسة تاريخ القدس أداة لتشكيل حاضرها ومستقبلها. ولمَّا كان هذان خاضعين لاعتبارات الصراع السياسيِّ؛ باتَ قريب المأخذ أنْ يُعهَد إلى الدراسات التاريخيَّة بتشكُّل تاريخ المدينة تشكيلاً يتَّفق وما يراد أنْ يكون واقعها وحاضرها عليه، وأنْ يطلب من علم التاريخ أنْ يطرح عن نفسه صفته الأساسيَّة ... الموضوعيَّة، وأنْ ينبذ مهمَّته الأصليَّة ... البحث عن الحقيقة التاريخيَّة.

فإذا ما غدت البواعث على تزييف التاريخ معروفة، يبقى المتأمِّل حائرًا إزاء سؤال آخر ذي صلة: كيف يتيسَّر للمزيِّف تزييف التاريخ؟ ولم لا يستعصي التاريخ على التزييف؟ والإجابة على هذا السؤال كامنة في المادَّة التاريخيَّة نفسها، وهي مكوَّنة – عند الحديث عن مدينة القدس قبل الإسلام - من الدليل الأثريِّ، ومن الشواهد الكتابيَّة الأثريَّة، المحليَّة والأجنبيَّة، من مصريَّة، وعراقيَّة، ويونانيَّة، ومن الشواهد الكتابيَّة غير الأثريَّة، ممثلة بنصِّ العهد القديم. وهذه المادَّة التاريخيَّة، في مجملها، نزرة، متفرِّقة زمانًا ومكانًا، ليست قاطعة الدلالة، توسِّع للمؤرِّخ والآثاريِّ كليهما في التأويل والتفسير أكثر ممَّا تقيِّدهما، فإنْ كانا صاحبَي هوى شكَّلا التاريخ بحسب هواهما، أو بحسب هوى صاحب السياسة وصاحب الدين اللذين يشاركانهما الهوى.

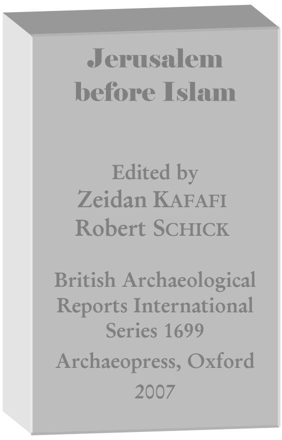

من هذا جميعه انبثق كتاب "القدس قبل الإسلام" هذا، واتَّخذ الهيئة التي هو عليها. ففي أواخر القرن الماضي تداعى أولو الأمر في دولة إسرائيل إلى الاحتفال بمرور ثلاثة آلاف عام على قيام مدينة القدس، وهذا يوحي صراحة بأنَّ تاريخ المدينة لا يُعتدُّ به عندهم إلاَّ منذ أنْ أسَّس داود المدينة في نحو عام 1000 قبل الميلاد - إنْ كان أسَّسها فعلاً وفي ذلك التاريخ – أمَّا ما قبل ذلك فمُختَزل عندهم كأنَّ شيئًا لم يكن، إمَّا لأنه لا يعني السياسيَّ اليوم، أو لأنه يقيم الحجَّة عليه في مزاعمه التاريخيَّة. وجذف المؤرِّخون والآثاريُّون في المركب السياسيِّ، فكشفوا عن أنهم أبعد غيًّا في اتِّباع أهوائهم من السياسيِّين.

وعليه، انبرت أصوات عديدة في الأردنّ في ذلك الوقت للتصدّي لهذه الهجمة على الحقيقة التاريخيَّة والآثاريَّة، فدعت مؤسَّسة آل البيت إلى مشروع يهدف إلى كتابة تاريخ مدينة القدس منذ أقدم العصور كتابة علميَّة موضوعيَّة، واستكتبت لهذه الغاية أعلام الباحثين في العالم، وطلبت إليهم تدوين تاريخ القدس، مستعينيين على ذلك بنتائج الدراسات التاريخيَّة والتنقيبات الأثريَّة، من غير أنْ ينزلوا مرحلة تاريخيَّة من المراحل التي مرَّت بمدينة القدس منزلة أعلى من سواها، ولا أنْ يجعلوا غايتهم إثبات حقٍّ لفئة معاصرة دون فئة، بل أنْ يكون رائدهم فيما يكتبون الوصول إلى الحقيقة والجهر بها، ليخرج المشروع بدراسات وثيقة علميَّة موضوعيَّة. واستُكتب الباحثون في عام 1996، أو قبل ذلك أو بعد ذلك بقليل، إلاَّ أنَّ المجلَّد المتضمِّن لتلك الدراسات لم يخرج علينا إلاَّ في أواخر عام 2007. ويقع الكتاب في خمسة أقسام، تتضمَّن 17 بحثا، هي:

القسم الأوَّل: الأرض والناس.

- سكَّان القدس قبل الإسلام، إدوارد لبنسكي.
- القدس واليبوسيُّون، أولريش هوبنر.
- أسماء القدس، خيريت فان در كوي.

القسم الثاني: النصوص.

- القدس في الوثائق المصريَّة القديمة، كينيث كيتشن.
- القدس في رسائل تلِّ العمارنة، جورج مندنهول.
- القدس في النصوص الأشوريَّة والبابليَّة، فولفغانغ رولغ.

القسم الثالث: الآثار والتاريخ.

- تاريخ التنقيبات الأثريَّة في القدس، هينك فرانكن.
- القدس في الألفَين الثالث والثاني قبل الميلاد، كاي براغ.
- القدس في أواخر الألف الثاني وأوائل الألف الأوَّل قبل الميلاد، مرغريت شتاينر.
- القدس في العصر الحديديِّ، لاري هِر.
- القدس في القرن العاشر قبل التأريخ السائد [الميلاديِّ]، أكسل كناوف.
- القدس في الفترتَين الهلنستيَّة والرومانيَّة، ديفيد غراف.
- القدس في الفترة الهيروديَّة 37 قبل الميلاد إلى 70 ميلاديَّة، آخيم ليشتنبيرغ.
- إيليا كابتيولينا، كلاوس بيبرشتاين.
- القدس البيزنطيَّة، روبرت شيك.
- الكنائس في القدس، ميشيل بيتشيرللو.

القسم الرابع: موضوعات خاصَّة.

- فخَّار القدس في المرحلة الثانية من العصر البرونزيِّ الأوسط (1700- 1550 قبل الميلاد)، بيتر فيشر.

القسم الخامس: خلاصة، زيدان كفافي.

وكتب زيدان كفافي، إلى جانب هذه الخلاصة، مقدِّمة الكتاب، تحدَّث فيها عن الغرض منه، وعن محتوياته، وعن منهج الباحثين فيه، ممَّا يتقاطع مع ما جاء في الخلاصة، فلعلَّه كان من الأجدر أنْ يؤخِّر تقييمه لمناهج الباحثين إلى الخلاصة.

وأودُّ أنْ أشير، وأنْ أشيد في الوقت نفسه، إلى أنَّ الدكتور زيدان كفافي القائم على المشروع قد وفِّق في استكتاب أهمِّ الباحثين الغربيِّين المشتغلين بتاريخ القدس. فالأبحاث السبعة عشرة كتبها علماء أعلام، ذوو اطِّلاع واسع على تاريخ القدس وآثارها في الفترات المختلفة. كما تبغي الإشارة إلى أنَّ هؤلاء أجملوا معارفهم عن القدس في فصول مركَّزة موجزة واضحة، بحيث يمكن للقارئ أنْ يتعرَّف خلاصة الرأي في حقبة بعينها من تاريخ القدس في صفحات قليلة. ولا ينبغي، في المقابل، أنْ يغيب عن البال، أنَّ أكثر هذه المقالات مرَّ على وضعه اليوم ما يزيد على عشر سنوات، فلا ينبغي أنْ تُعدَّ بالضرورة معبِّرة عن الموقف العلميِّ لأصحابها اليوم.

وينبغي، على أيَّة حال، أنْ لا يتوقَّع القارئ الوقوع في هذا الكتاب على أبحاث تخلص إلى نتائج قاطعة واضحة، خاصَّة فيما يتَّصل بتاريخ القدس وآثارها في عصور ما قبل الميلاد، وقد أجمل لاري هِر في صدر بحثه الصعوبات التي يواجهها الآثاريُّ المشتغل في القدس قائلاً: "لأنَّ القدس سُكِنت آلاف السنوات، فإنَّ البقايا الأثريَّة نفسها تعيق البحث الأثريَّ؛ فتجد في المواقع الأثريَّة من القدس آثار حُفر، وإعادة البناء، وأعمال إنشائيَّة لتعزيز المنشآت الواقعة

على السفوح الملأى بالمخلَّفات الأثريَّة، كما ترى الناس قد أزالوا في القدم الطمم الأثريَّ ليتمكَّنوا من البناء ثانية على الأرض البكر، ويجتمع إلى ذلك وجود المباني الحديثة فوق المباني الأثريَّة، فأفضى هذا جميعه إلى جعل السياق الأثريِّ في القدس أعصى سياق أثريٍّ على التنسيق والتقييم في الشرق القديم كلِّه، أو يكاد".

أمَّا في الكتاب نفسه، فيلحظ القارئ أنَّ المحرِّر لم يسع للتنسيق والتوفيق بين المقالات، فعلى سبيل المثال، تحدَّث إدوارد لبنسكي، وخيرت فان در كوي، وكينيث كيتشن عن أسماء القدس القديمة في مواضع مختلفة من أبحاثهم، كما تحدَّث كلٌّ من لاري هِر وأكسل كناوف عن القدس في القرن العاشر قبل الميلاد. ولا يعدم القارئ فائدة من هذا التكرار، على أيَّة حال، فقد كشف في كلِّ مرَّة عن منهج مختلف في التناول، ينبِّه إلى الحاشية الرحبة المتاحة للدارسين في تأويل المستكشفات وتفسيرها، والتي كنت أشرت إليها أعلاه.

فهل حقَّق الكتاب الغاية التي وُضع من أجلها؟
وهل يمثل هذا الكتاب تلك الدراسة العلميَّة، الموضوعيَّة، التي تعرض تاريخ القدس قبل الإسلام التي أراد القائمون على المشروع لها أنْ تكون؟

لقد كان المحرِّر شكى في مقدِّمته من أنَّ بعض الباحثين المساهمين في الكتاب لم يستنكفوا عن الاتِّكاء على العهد القديم في دراسة تاريخ القدس، عادًّا ذلك خروجًا على الموضوعيَّة المطلوبة في دراسة تاريخ القدس، على اعتبار أنَّ نصَّ العهد القديم نصٌّ دينيٌّ ذو فهم عقائديٍّ لا يصحُّ الاستناد إليه في الدراسات التاريخيَّة. وأرى هنا أنَّ الأمر يمكن أنْ يُنظر إليه من جانبَين، الأوَّل أنَّ العهد القديم نصٌّ يرجع إلى الألف الأوَّل قبل الميلاد، ففيه معلومات تاريخيَّة غير مباشرة في كثير من الأحيان ومباشرة في أحيان قليلة، فلا بأس عندي في الإفادة منه، طالما أنَّ الباحث لا يتَّخذه منطلقًا لبحثه، وعلى أنْ تكون غايته الاهتداء بالعهد القديم في تفسير المستكشفات الأثريَّة، وليس تطويع المادَّة الأثريَّة لتناسب النصَّ التوراتيَّ.

أمَّا الجانب الثاني؛ فذو صلة بطبيعة الكتاب، فالقائمون عليه وقعوا، يوم اختاروا العلماء المذكورين أعلاه لكتابة تاريخ القدس، على أعلام ذوي سمعة دوليَّة، لا يخفى، في الوقت عينه، أنَّ غير قليل من هؤلاء أساتذة لاهوت، دلفوا إلى الدراسات التاريخيَّة والآثاريَّة من المدخل الدينيِّ، فهل يصحُّ حقًّا أنْ نتوقَّع معهم فهمًا لتاريخ القدس بريئًا من النوازع الدينيَّة؟ وأحسب أنَّ أكثر الباحثين المساهمين في هذا العمل قد اجتهد في أنْ تجيء كتابته متَّفقة مع الموضوعيَّة العلميَّة التي رمى إليها المشروع الذي يساهمون فيه، إلاَّ أنه من غير المستغرَب أنْ يظلَّ فهمهم لتاريخ القدس صادرًا عن فهم دينيٍّ عامٍّ لتاريخ الشرق الأدنى القديم، وخير مثال على ذلك بحث أكسل كناوف المشار إليه؛ فهو وإنْ كان لا يعبِّر عن اعتقاد دينيٍّ بما جاء في أسفار العهد القديم عن أحداث القرن العاشر قبل الميلاد، إلاَّ أنه يتتبَّع ما جاء في تلك الأسفار محاولاً من خلالها تفسير الأحوال التاريخيَّة والاجتماعيَّة في القدس في تلك الفترة، فقد اتَّكأ على العهد القديم كليَّة، أو كاد، موافقًا مرَّة ومخالفًا أخرى.

وخلاصة القول في الأمر، أنَّ المشروع رمى إلى إيجاد عرض علميٍّ موضوعيٍّ لتاريخ القدس، لكنَّه لم يجد مَن يستعين به على ذلك من أصحاب السمعة الدوليَّة إلاَّ العلماء الغربيُّون، وهؤلاء صدروا عن أفهامهم الحضاريَّة الخاصَّة، وكتبوا بحسب ما وجدوا بين أيديهم من دراسات عن القدس وضعها الغربيُّون في المائة والخمسين السنة الأخيرة، وأكثر هؤلاء من أصحاب النظر الدينيِّ. ولن يتيسَّر لنا، فيما أحسبُ، أنْ ننشر الدراسات التي نريد، رصانة وموضوعيَّة، عن القدس وعن سواها إلاَّ يوم يصير منَّا مَن يضع دراسات تصدر عن فهمنا الحضاريِّ الخاصِّ، ولا يتأتَّى ذلك عن طريق جهود فرديَّة متفرِّقة هناك وهناك، تنشأ ردَّ فعل على ما يفعله الآخر أو يريده، وإنما ينبغي أنْ تكون نتاج بناء متين، ينهض على أساس معرفيٍّ تضع خططه المؤسَّسات العلميَّة وتسهر على رعايته وإنضاجه، حتَّى يغدو الفهم مدرسة تعبِّر عن موقف حضاريٍّ ذي سمات واضحة.

عرض كتاب

عمارة الكنائس وملحقاتها في الأردنّ

في العهدَين البيزنطيِّ والأمويِّ

تأليف: رنده فؤاد قاقيش

الناشر: دار ورد الأردنيَّة، 2007

عرض: عفاف زيادة

هل كانت الكنائس البيزنطيَّة في الأردنّ ترجمات لحالة من الورع الشعبيِّ؟ أم أنها ذات ارتباط بثقافة العصبيَّة القبليَّة والمذهبيَّة؟ مَن كان مموِّلو تلك الكنائس؟ وما هي علاقتها، وبالأخصِّ كنائس الأرياف، بنمط الإنتاج الزراعيِّ الحرفي؟ هل كانت تلك الكنائس مراكز إنتاجيَّة واستثمارات؟ أم كلُّ ذلك معًا؟ ولمن كانت تلك الكنائس تُكرَّس؟ للشهداء والقديسين؟ أم لخلاص المموِّلين وغفران خطاياهم؟ مَن هم الشهداء والقديسون الأكثر شعبيَّة؟ وكيف هو مشهد الكنائس آنذاك؟

هي تساؤلات طرحتها مؤلِّفة كتاب "عمارة الكنائس وملحقاتها في الأردنِّ في العهدَين البيزنطيِّ والأمويِّ" أصلاً في أطروحة دكتوراه أعدتها في الجامعة اللبنانيَّة. وللإجابة على تلك التساؤلات، بسطت المؤلِّفة مؤلَّفها في قسمين، تضمَّن القسم الأوَّل سبعة فصول هي:

- إطار تاريخيٌّ اجتماعيٌّ.
- النشاطات الآثاريَّة.
- الأنماط المعماريَّة.
- مواد وتقنيات البناء.
- الملحقات والصلات مع أبنية أخرى.
- التأثيث والمقتنيات.
- الزخارف: الفسيفساء والصور الجداريَّة.

أمَّا القسم الثاني؛ فقد تضمَّن دليل الكنائس وملحقاتها في الأردنِّ في العهدَين البيزنطيِّ والأمويِّ.

في المنهج

بينما أتى الكتاب على تحليل ظاهرة انتشار الكنائس في العهدَين البيزنطيِّ والأمويِّ، وتواترها في موقع واحد، أو في مواقع متجاورة، الأمر الذي دعا المؤلِّفة إلى عدِّها ظاهرة معماريَّة ثقافيَّة؛ فقد "شُغل البحث بتوضيب مشهد تاريخيٍّ

اجتماعيٍّ ثقافيٍّ حول الحقبة المسيحيَّة في الأردنِّ بأداء منهجيٍّ متعدِّد الأبعاد" شمل عدَّة محاور:

أوَّلاً: وصف إحصائيٌّ مكَّن من وضع جردة بكنائس الأردنِّ البيزنطيَّة والأمويَّة، وتصنيفها في دليل علميٍّ وفق معايير محدَّدة، وفرَّت من خلالها الباحثة أدوات وصف مضبوطة لقاعدة البيانات التي كوَّنت إطارًا مرجعيًّا للكنائس موضوع الدراسة.

ثانيا: "بناء أنموذج تنميط مضبوط للأنماط العمائريَّة لتلك الكنائس"، والتي توزَّعت في أربعة أنماط رئيسة (بتفريعاتها)، وهي: البازيليكا، والكنيسة ذات الصالتين، وكنيسة القاعة، والكنيسة المركزيَّة. وعلى الرغم من اعتقاد المؤلِّفة بأنْ ليس ثمَّة أنموذج مغلق ونهائيٌّ، إلا أنها وضعت نمذجة شاملة تفصيليَّة للأنماط العمائريَّة لكنائس الأردنِّ البيزنطيَّة والأمويَّة.

ثالثا: التحليل الإحصائيُّ الشامل للعلاقات بين الجوانب المختلفة لإشكاليَّة البحث استنادًا إلى معطيات قاعدة البيانات التي أنشأتها المؤلِّفة لهذا الغرض.

رابعًا: التحليل الاجتماعيُّ التاريخيُّ.

في التحليل الاجتماعيِّ التاريخيِّ

لقد تناول الكتاب بدايات انتشار المسيحيَّة في الأردنِّ، وبدايات عمليَّة انتشار الكنائس، وحركة الاستقرار العربيَّة في الأردنِّ. وأشارت المؤلِّفة إلى أنَّ الأردنَّ "البيزنطيَّ" كان، بوجه خاصٍّ، عربيًّا، حيث تبرز المؤثرات العربيَّة، ومساهمة السكَّان العرب في الحقبة البيزنطيَّة في المعمار وفنونه، وتؤكِّد ذلك الكتابات على الأرضيَّات الفسيفسائيَّة للكنائس، والتي يظهر فيها العرب كمتبرعين ورجال دين وفنيِّين.

ومضت الباحثة نحو إضافة لم تألفها كثيرًا أيدي من سبقوها إلى هذا المجال، فاستبنت مشهدًا حيًّا للسياقات الاجتماعيَّة التاريخيَّة في الأردنِّ في الحقبة البيزنطيَّة (القرن الرابع الميلاديِّ إلى منتصف القرن الثامن الميلاديِّ)، عبر استكشاف العلاقات الداخليَّة بين التفاعلات السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة من جهة، والأنماط العمائريَّة لتلك الكنائس وفنونها من جهة أخرى، إذ قدَّمت رؤية تحليليَّة للحراك السياسيِّ الاقتصاديِّ الاجتماعيِّ الذي شهده الأردنُّ، لا سيَّما في الفترة ما بين القرنين الخامس والسابع الميلاديَّين، والذي ترافق مع "انفجار ديموغرافيٍّ" بلغ أوجًا ربَّما لم تشهد المنطقة أبلغ منه حتى القرن العشرين بحسب ما أشارت المؤلِّفة وآخرون. وقد جسدت ذلك الحراكَ حركةُ التريف الواسعة التي انتهجتها السياسات البيزنطيَّة لتوطين البدو، واستقدام القبائل العربيَّة التي اتَّخذها الساسة البيزنطيُّون حلفاء للدفاع عن مصالحهم مقابل امتيازات تحتفظ بموجبها تلك القبائل بحقِّها في كيانات محليَّة، ومكافآت ماليَّة، وإسدال لقب "فيلارخ" على شيوخ القبائل نظير أدائهم مهمَّات عسكريَّة دفاعًا عن المصالح العليا للدولة البيزنطيَّة. وقد كانت تلك السياسات أدَّت دورًا في انتعاش حركة سكنى العرب، وما تبعها من انتعاش الفلاحة، والحرف، وظهور طبقة من الأثرياء العرب الذين أسهموا في تشييد الكنائس ذات المعمار المُفتخر. وساد المنطقة نمط إنتاج شبه إقطاعيٍّ، كانت الديانة المسيحيَّة إطاره الإيديولوجيَّ، فانتشرت الكنائس وعقاراتها. وعلى هذا الأساس، عزت الباحثة ظاهرة انتشار الكنائس البيزنطيَّة والأمويَّة بكثرة في الأردنِّ إلى الاستقرار السكَّانيِّ، والازدهار الاقتصاديِّ، وتشكُّل طبقة من الفلَّاحين الأغنياء في الريف، والذين اتَّسمت ثقافتهم بالطابع الدينيِّ، وإلى نزوع رجال الدين نحو زيادة إيراداتهم، وانتشار ظاهرة الإيمان بشفاعة القديسين لدى سائر جمهور المؤمنين آنذاك، إضافة إلى ميل العرب إلى التفاخر بكنائسهم.

ونتساءل: هل شيِّدت تلك الكنائس في ظل حالة من الازدهار الاقتصاديِّ؟ أم أنه نمط إنتاج مشوَّه أدَّت فيه السياسة البيزنطيَّة الاحتلاليَّة دورًا في خلق بنى اقتصاديَّة اجتماعيَّة تبعيَّة تحالفت عبرها طبقة من الإقطاعيِّين، أو شبه الإقطاعيِّين، مع سلطة الدولة على حساب العامَّة؟ فهل كانت تلك الكنائس إنتاجًا طبقيًّا بامتياز؟ وهل عملت الدولة البيزنطيَّة على تعزيز نفوذها السياسيِّ وبسط

هيمنتها بأدوات دينيَّة؟ وإذا كان رجال الدين جزءًا من تركيبة اقتصاديَّة وجدت في الريف استثمارات وتجارة رابحة؛ فكيف كانت علاقة الريف بالحواضر؟

ففي نظرة إلى قاعدة البيانات التي تضمَّنت أرقامًا إحصائيَّة لمساحات الكنائس وأعداد المصلِّين فيها، تبيَّن أنَّ عدد الكنائس في مجموعة من المدن والبلدات قد تعدَّى احتياجات السكَّان الصلويَّة، حيث كشفت التنقيبات الأثريَّة في موقع صغير مثل رحاب في شمال الأردنِّ عن عشرين كنيسة، وفي أمِّ الجمال، عن خمس عشرة كنيسة، في الوقت الذي كشف فيه في طبقة فحل، المدينة المهمَّة، عن ثلاث كنائس فقط حتى الآن. وفي الوقت الذي صمت فيه الشاهد الأثريُّ عن تقديم إجابة حول ظاهرة تفاوت عدد الكنائس بين المواقع المختلفة على نحوٍ غير مألوف؛ فإنَّ هذه الدراسة التي أتت بمنهج لم يألفه البحث الوطنيُّ في منطقتنا بعد، قد تمهِّد الطريق أمام دراسات تتبع المنهج الإحصائيَّ ذاته، وتستكمل العمل على قاعدة بيانات ترصد مناطق انتشار تلك الكنائس في سياق التحليل المناطقيِّ regional analysis، وذلك في محاولة لتحليل، أو تعليل، هذه الظاهرة في إطار فهم العلاقة بين الريف والحواضر، واستنتاج الروابط والصلات فيما بينهما.

وفي إشارة إلى ظاهرة تعدُّد الكنائس في الموقع الواحد، أو في مواقع متجاورة؛ فقد أشارت المؤلِّفة إلى انتشار النزعة الانفصاليَّة القوميَّة في عموم سوريا ومصر، والتي أخذت شكل الصدام المذهبيِّ بين الطبقة البيزنطيَّة الحاكمة بمذهبها الخلقدونيِّ من جهة، والفلاَّحين والبدو المحلِّيِّين أصحاب المذهب اليعقوبيِّ من جهة أخرى، وقد بلغ الاحتدام المذهبيُّ بين المذاهب المسيحيَّة الكبرى، الخلقدونيَّة (الأرثوذكس)، والمونوفيزيَّة (اليعاقبة)، والنسطوريَّة، أوجه في القرنين الخامس والسادس الميلاديَّين، ممَّا قد نجد فيه تعليلاً لمسألة تعدُّد العمائر الكنسيَّة. وبالنظر إلى صعوبة الوقوع على شاهد أثريٍّ يؤكِّد تبعيَّة كنيسة ما لمذهب بعينه؛ فقد يكشف البحث في اتجاهات الكنيسة المعاصرة، وتجليها في التبعيَّة المذهبيَّة للمباني الكنسيَّة، عن ظاهرة ربَّما تعود بجذورها إلى حقب تاريخيَّة بعيدة.

ويخلص عرض "عمارة الكنائس وملحقاتها في الأردنِّ في العهدين البيزنطيِّ والأمويِّ" إلى أنَّ هذا الكتاب قد أتى إضافة نوعيَّة ذات أداء منهجيٍّ جديد ومغاير، فتجد المؤلِّفة تقول في ثنايا الكتاب: "كان البحث يتشكل لديَّ في ضوء منهج شموليٍّ، أو قل في ضوء عدَّة مناهج، تأريخيَّة وآثاريَّة وسسيوثقافيَّة، تهدف إلى ترسُّم صورة حيَّة لعمليَّة بناء الكنائس وملحقاتها في إطار السياق الاجتماعيِّ التاريخيِّ للحقبة البيزنطيَّة وامتدادها الأمويِّ في منطقة لها خصائص محدَّدة في إطار ذلك السياق". كما أنَّ في هذا الكتاب من الأصالة ما يحفز إلى زعم أنَّ المؤلِّفة قد أخذت على عاتقها استبناء معمار مسيحيٍّ ذي هويَّة عربيَّة في حقبة شكَّلت منعطفًا مهمًّا في التاريخ العربيِّ.

نقوش صفويَّة من وادي سلمى

(البادية الأردنيَّة)

تأليف: صبري العبَّادي

الناشر: مركز بحوث وتطوير البادية الأردنيَّة، 2006

مراجعة: عمر الغول

يتضمَّن الكتاب 85 نقشًا صفويًّا تُنشر لأوَّل مرَّة، عثر عليها المؤلِّف في وادي سلمى الواقع على بُعد ما يقرب من 35 كيلومترًا إلى الشمال الشرقي من بلدة الصفاوي في البادية الشماليَّة الشرقيَّة. وقدَّم الباحث للنقوش بفصول عرض فيها تاريخ البحث في النقوش الصفويَّة، وفي تسميتها، وأماكن وجودها، وإطارها التاريخيِّ. وتلت ذلك دراسة للنقوش المنشورة في الكتاب. واستعرض المؤلِّف النقوش بحسب الرجوم الثلاثة التي استُكشفت فيها، بحيث قدَّم للحديث على نقوش كلِّ رجم بملاحظات عامَّة، ثمَّ استعرض النقوش واحدًا واحدًا، وذلك بتحليل ألفاظ النقش تحليلاً لغويًّا، يقوم على استعراض معنى اللفظة في المعاجم العربيَّة، ثمَّ الإشارة إلى شواهدها الأخرى في النقوش الصفويَّة، إنْ وجدت، ثمَّ في لغات ساميَّة أخرى. وكان الباحث يشير إلى آراء الباحثين المختلفة في الألفاظ المشكلة. وألحق الباحث بالدراسة فهارس بأسماء الأعلام، وبالأفعال والمفردات، وبأسماء الآلهة، وبأسماء الأماكن، وبأسماء القبائل، وبأسماء الحيوانات. ويجد القارئ في آخر الكتاب خريطتين، و18 صورة تتضمَّن 35 نقشًا من نقوش الدراسة، وتلي ذلك رسومات تفريغيَّة لنقوش الدراسة كلِّها. ويُشار إلى أنَّ صور النقوش غير واضحة في أكثرها، بما لا يتيح التحقُّق من صحَّة قراءتها.

وتُعدُّ هذه الدراسة إضافة جديدة إلى الدراسات التي اعتنت بنشر النقوش العربيَّة الشماليَّة في الأردنِّ في السنوات الأخيرة. ولا بدَّ هنا من التنبيه إلى أنَّ الإسراع بتوثيق النقوش العربيَّة الشماليَّة الموجودة في البادية الأردنيَّة ونشرها صار أمرًا ملحًّا، لما باتت تتعرَّض له مناطق البادية الأردنيَّة من تخريب، فالمؤلِّف يشير إلى أنَّ بعض نقوش الرجم الثالث

ضاعت بعد أنْ كان الباحث نسخها، وذلك نتيجة فتح طريق في تلك المنطقة.

والنقوش الصفويَّة قصيرة، عمومًا، تتكرَّر فيها أسماء العلم، والأفعال، والعبارات، حتَّى أنَّ المطَّلع على النقوش المنشورة حديثا لا يرجو، في الغالب، أنْ يجد فيها إضافة كبيرة إلى معرفتنا بكاتبي النقوش أو بلغتهم. ومع ذلك، تنبغي الإشارة إلى أنَّ النقوش المنشورة هنا تتضمَّن 21 لفظة ترد لأوَّل مرَّة في النقوش الصفويَّة، تمثل التالية منها أسماء أشخاص: "ح ش ك"، "ز ب د هـ م"، "ز م ت"، "س ح ل ي ت"، "س ل خ"، "ش ر ك ت"، "ض ر ح"، "ع ب ش ن"، "ن ب ح"، "ن هـ م ن"، "ي ح ي"، "ي ذ ر"، "ي ز ن"، أمَّا "ج ر ش ت"، و"و ر ق ل"؛ فاسمان لقبيلتَين. ويقدِّر المؤلِّف أنَّ الألفاظ "ت ب ط"، و"خ و ل ن"، و"ك ب د ت" أسماء لأماكن، ومن أسماء الأماكن كذلك " خ ب ث ت"، وهو الاسم القديم لوادي سلمى. وآخر الألفاظ الجديدة في هذه المجموعة هما "ت ل ل" وتعني "تلٌّ"، و"ش ع ت هـ"، وتعني "رفاقه". ولا بدَّ من الإشارة، على أيَّة حال، إلى أنَّ بعض هذه الألفاظ قد كانت وردت في النقوش الصفويَّة في صيغ صرفيَّة أخرى من الجذر نفسه، وبعض هذه الأسماء ترد في لغات ساميَّة أخرى، فليس كلُّها جديدًا تمامًا.

ويقع نشر هذه النصوص موقعًا حسنًا دون شكٍّ لدى المختصِّين في النقوش العربيَّة الشماليَّة، فعلى الرغم من أنَّ الدارسين الأردنيِّين قد جمعوا في السنوات الأخيرة آلافًا من النقوش الصفويَّة والثموديَّة إلاَّ أنَّ أقلَّها قد نشر، فلا بدَّ من الإشادة بجهد المؤلِّف الذي أدَّى إلى نشر هذه المجموعة من النقوش. وفي المقابل، تنبغي الإشارة إلى أنَّ هذه الدراسة تضرب في الدرب نفسه الذي ضربت فيه دراسات سابقة، منشورة وغير منشورة، وذلك باكتفاء الباحثين بتحليل النقوش المنشورة تحليلاً لغويًّا دون أنْ يتجاوزوا ذلك إلى مناقشة المسائل الاجتماعيَّة، أو الدينيَّة، أو الجغرافيَّة، أو التاريخيَّة، أو الاقتصاديَّة التي تذكرها النقوش صراحة أو تلميحًا، فكاتبو النقوش يشيرون، مثلاً، إلى أنهم أمضوا الصيف في تلك المنطقة، أو أنهم قضوا الربيع فيها، فهل كان وادي سلمى مكانًا يقضون فيه الربيع والصيف؟ وإنْ كان الأمر كذلك، فأين كانوا يقضون الخريف والشتاء؟ وهل يمكن تتبُّع حركتهم من خلال أسماء العلم الواردة في نقوش أخرى؟ وما هي وجوه التشابه أو الاختلاف ما بين النقوش المكتشفة في هذه الرجوم الثلاثة والنقوش المكتشفة في أماكن أخرى؟ وذلك فيما يتَّصل بلغتها، وإملائها، وخطِّها، وأسماء العلم فيها، وسوى ذلك من الوجوه التي تشتمل عليها النقوش؟ فيبدو أنَّ العرف الأكاديميَّ قد استقرَّ عند ناشري هذه النقوش على أنَّ نشر النقوش المكتشفة حديثا يقوم بنفسه دون حاجة إلى مناقشة هذه المسائل. وهذا ما يؤسَف له، خاصَّة بالنظر إلى أنَّ ناشر هذه النقوش قد أظهر في دراسات سابقة له قدرة تستحقُّ التنويه على مناقشة المسائل المختلفة في النقوش الصفويَّة.

ويُؤمل أنْ يحفز نشر هذه النقوش الباحثين الآخرين العاملين في هذا المجال على نشر ما جمعوه من نقوش عربيَّة شماليَّة، ممَّا يعين على تعزيز البحث فيها وتعميقه.

ملخَّصات

أطروحات الماجستير

في كلية الآثار والأنثروبولوجيا

المصدر الجغرافي وتقنية صناعة الفخَّار الأيوبيِّ المملوكيِّ المزجَّج المكتشف من موقع اليَصيلة، شمال الأردنِّ

دراسة علميَّة تحليليَّة

أحمد الشرمان

إشراف: زياد السعد. المشرِف المشارك: زيدون المحيسن

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد المصدر الجغرافي، وتقنية صناعة الفخَّار الأيوبيِّ المملوكيِّ المزجَّج المستكشف في موقع اليَصيلة بشمال الأردنِّ. وقد اختيرت ثلاثون عيِّنة من الفخَّار المزجَّج استُكشفت في موقع اليَصيلة خلال ستَّة مواسم من التنقيب الأثريِّ (1988-1998). وصنِّفت هذه العيِّنات إلى خمس مجموعات اعتمادًا على النمط، واللون، والنوع. واتُّبعت في دراستها الفحوصات الكيميائيَّة، والمعدنيَّة، والحراريَّة، باستخدام جهاز مطياف الامتصاص الذريِّ، وفحص نقص الوزن بالحرق لتحديد التركيب الكيميائيِّ للعيِّنات. أمَّا التحاليل المعدنيَّة؛ فأُجريت من خلال فحص الشرائح الدقيقة تحت الميكروسكوب المستقطب، وجهاز حيود الأشعَّة السينيَّة. كما استخدم جهازا التمايز الحراريِّ، ومطياف Moss Bauer، وتجربة إعادة الحرق لإجراء التحاليل الحراريَّة.

ودلَّت نتائج الفحوصات الكيميائيَّة على أنَّ تزجيج هذا الفخَّار تزجيج رصاصيٌّ، توزَّعت مادَّته إلى تزجيج قليل، ومتوسِّط، وعالي الرصاص. وجرى فحص هذا التزجيج بتطبيق خليط من محلول الرصاص والسيليكات على جسم الآنية الفخَّاريَّة المحروقة أصلاً، والتي صُنعت من عجينة متجانسة (طين غير كلسيٍّ). ويمكن تفسير اختلاف نسب الرصاص في مادَّة التزجيج بالتحكُّم بعمليَّة التمدُّد الحراريِّ، وذلك للوصول إلى طبقة تزجيج متوافقة مع جسم الآنية الفخَّاريَّة، إضافة إلى أنَّ اختلافها يساعد في التحكُّم بتألُّق طبقة التزجيج ولونها. لذا، يمكن القول إنَّ صانعي الفخَّار الأيوبيِّ المملوكيِّ هذا كانوا على دراية بالتفاعل الطارد للحرارة المميِّز لهذا المعدن من منحنيات التمايز الحراريِّ. ودلَّت ألوان عجينة الفخَّار البنيَّة المحمرَّة، وظهور معدن الهيماتيت في أطياف هذه العيِّنات، على أنَّ عمليَّة حرق هذه العيِّنات قد حدثت في ظروف مؤكسدة. وقد لوحظ عدم تطابق معدنيَّة هذه العيِّنات (طين غير

كلسيٍّ، وكوارتز، وقطع فخَّاريَّة مطحونة) مع ما هو موجود في موقع اليَصيلة (صخور كربونات الكالسيوم عمومًا)، ويُعدُّ ذلك مؤشرًا قويًّا إلى أنَّ هذا الفخَّار ليس من صنع محليٍّ. وكان صانعو الفخَّار الأيوبيِّ المملوكيِّ حرقوا هذا الفخَّار على درجة حرارة تجاوزت 1000 درجة مئويَّة، كما دلَّ على ذلك ظهور معدن mullite من خلال حيود الأشعَّة السينيَّة للعيِّنات قبل الحرق وبعده. إضافة إلى غياب التفاعل الطارد للحرارة المميِّز لهذا المعدن من منحنيات التمايز الحراريِّ.

تخطيط مدافن يَعْمون، دراسة مقارنة

أحمد حمادنة

إشراف: زيدون المحيسن

يعدُّ موقع يَعْمون من المواقع المهمَّة، وهو يبعد عن إربد حوالي 25 كيلومترًا تقريبًا، و3 كيلومترات إلى الجنوب الغربيِّ من بلدة النعَيمة. وتعود أقدم الشواهد الفخَّاريَّة فيه إلى العصر البرونزيِّ المبكِّر، وتستمرُّ حتَّى نهاية العصر العثمانيِّ. وتشير الدراسات الأثريَّة الميدانيَّة إلى اعتماد سكَّان يَعْمون على الزراعة خلال العصرين الرومانيِّ والبيزنطيِّ، وذلك لتوافر مياه الأمطار والينابيع، وخصوبة التربة. وتعدُّ المدافن، بأشكالها الفرديَّة والجماعيَّة، من أهمِّ مظاهر اعتناء الرومان بالحياة الأخرى؛ وقد اختلفت هذه المدافن في أشكالها، وأحجامها، وأنماط الدفن فيها، وتميَّز كلُّ نمط منها بمخطَّط خاصٍّ به. وتعكس هذه المدافن الأنماط والطرز العمائريَّة والعادات الجنائزيَّة التي سادت في العصر الرومانيِّ وبداية العصر البيزنطيِّ.

استهدفت هذه الأطروحة عقد دراسة مقارنة بين مدافن صَعَد، ودوحَلة، واليَصيلة، وأمِّ قيس، وقويلبة، لتحديد عادات الدفن، وأوجه الشبه والاختلاف بين المدافن في نهاية العصر الرومانيِّ وبداية العصر البيزنطيِّ. وكانت مدافن يَعْمون اشتملت على ثلاثة أنماط هي: المدافن الجماعيَّة، والمدافن الفرديَّة، والمدافن البئريَّة. وعرضت الدراسة الخصائص المعماريَّة لتلك المدافن، وعادات الدفن في نهاية العصر الرومانيِّ وبداية العصر البيزنطيِّ، ونتائج الدراسة الأنثروبولوجيَّة العضويَّة لموقع يَعْمون، كما بيَّنت تقنية إنشاء تلك المدافن، والأدوات المستخدمة والطرق المتَّبعة في نحتها.

ضبط البيئة في المتاحف كأداة للحفظ الوقائيِّ متحف التراث الأردنيِّ كحالة دراسيَّة

تمَّام خصاونة

إشراف: زياد السعد

اختير موضوع هذه الدراسة نظرًا لقلَّة الدراسات المتخصِّصة في قياس وتقييم الظروف البيئيَّة في المتاحف الأردنيَّة، والتي تعدُّ سببًا مهمًّا في تعرُّض مقتنيات هذه المتاحف لمخاطر التلف والدمار. وسعت الدراسة إلى إيجاد وسائل ملائمة لتطبيق معايير الصيانة الوقائيَّة من أجل حماية المقتنيات المتحفيَّة في الأردنِّ، متَّخذة من متحف التراث الأردنيِّ في كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك حالة دراسيَّة لتقييم الظروف البيئيَّة فيه.
استغرق تقييم المتغيِّرات البيئيَّة في متحف التراث الأردنيِّ أربعة شهور تقريبًا، شمل قياس درجات الحرارة، والرطوبة النسبيَّة، وشدَّة الضوء ونوعيَّته، ومكوِّنات الغبار الداخل إلى المتحف. وقد أشارت النتائج إلى أنَّ الظروف البيئيَّة في متحف التراث الأردنيِّ غير مراقبة، ولا تخضع إلى أنظمة التحكُّم والسيطرة. كما تبيَّن تأثُّرها بالتقلُّبات البيئيَّة الجويَّة خارج المتحف، ممَّا أدَّى إلى تلف المقتنيات المتحفيَّة ودمارها بأشكال ومظاهر عدَّة؛ فقد ظهرت بعض حالات التلف الكيميائيِّ، والفيزيائيِّ، والبيولوجيِّ، مقترنة بعامل الإهمال البشريِّ الذي ارتبط بالجهل بأهميَّة هذه المقتنيات، ممَّا كان له أثر سلبيٌّ على ديمومة المعروضات ذات المدلولات الحضاريَّة والتراثيَّة المهمَّة.

اعتمدت الدراسة المعايير والمواثيق الدوليَّة مرجعيَّة أساسيَّة لها في استنباط وإنشاء معايير خاصَّة بمتحف التراث الأردنيِّ، تضمَّنت مبادئ وأساسيَّات أوصى الباحث بتبنِّيها وتطبيقها لضمان حماية المجموعات المتحفيَّة وديمومتها.

كنائس حيَّان المشرِف، دراسة أثريَّة معماريَّة

خالد المومني

إشراف: زيدون المحيسن

تتضمَّن الأطروحة دراسة اثنتَين من الكنائس، ومبنى لدير، ومصلًّى في موقع حيَّان المشرِف. وهدفت الدراسة إلى إبراز الأهميَّة التاريخيَّة والجغرافيَّة لموقع حيَّان المشرِف، والبحث في الجوانب التاريخيَّة والمعماريَّة للكنيستَين موضوع الدراسة. وقد استندت الدراسة إلى المصادر التاريخيَّة، وتقارير الحفريَّات الأثريَّة، المنشور منها وغير المنشور، إلى جانب الزيارات الميدانيَّة التي قام بها الباحث إلى موقع الدراسة.

جاءت الدراسة في أربعة فصول، تناول الفصل الأوَّل المفرق في العصر البيزنطيِّ ضمن مبحثين؛ شمل الأوَّل تعريفًا بكنائس المفرق في العصر البيزنطيِّ، وتمهيدًا حول مراحل استيطان المفرق في العصور القديمة، مرورًا بالعصر البيزنطيِّ، وانتهاءً بالعصور الإسلاميَّة. أمَّا المبحث الثاني؛ فشمل موقع حيَّان المشرِف، وتسميته، وأهميَّته التاريخيَّة، وتاريخ البحث الأثريِّ فيه، والدراسات السابقة له.

وجاء في الفصل الثاني مبحثان، تناول الأوَّل دراسة تفصيليَّة لمبنى الدير، شملت الجوانب التاريخيَّة، والمعماريَّة، والفنيَّة، وتناول المبحث الثاني دراسة المصلَّى من الناحيتين المعماريَّة والفنيَّة. بينما قدَّم الفصل الثالث عرضًا تاريخيًّا، ومعماريًّا، وفنيًّا للكنيسة الوسطى. أمَّا الفصل الرابع؛ فأُفرد للكنيسة الشماليَّة، ودراستها تاريخيًّا، ومعماريًّا، وفنيًّا. وخلصت الدراسة إلى ما يلي:

- الأهميَّة التاريخيَّة لموقع حيَّان المشرِف عبر العصور، وأهميَّته التجاريَّة لقربه من طريق تراجان التجاريِّ.
- أهميَّة النقش التأسيسيِّ الذي كُتب باللغة الآراميَّة المسيحيَّة الفلسطينيَّة، والذي عُثر عليه في مبنى الدير، ممَّا يؤكِّد انتشار هذه اللغة في الأردنِّ، وفلسطين، وجنوب بلاد الشام.
- اعتمدت كنائس حيَّان المشرِف تخطيط النظام البازيليكيِّ.
- استخدم الحجر الكلسيُّ المشذَّب المتوافر في المنطقة لبناء هذه الكنائس.
- تشابه الكنيستَين في طريقة بناء الجدران، والحنية، وجميع أجزائهما.
- غلبة الأشكال الهندسيَّة والزخارف النباتيَّة على أرضيَّات الكنائس الفسيفسائيَّة.

المساجد في محافظة إربد خلال العصر العثمانيِّ المتأخِّر دراسة معماريَّة مقارنة

راكان العودات

إشراف: محمَّد حتاملة

شملت الدراسة مجموعة من المساجد العثمانيَّة في محافظة إربد، وهي مساجد: سال، وبشرى، وأمِّ قيس، وإيدون، وتبنة. واعتمدت الدراسة على الزيارات الميدانيَّة المكثفة التي قام بها الباحث إلى مواقع هذه المساجد، فعمل على توثيقها بالمخطَّطات، والرسومات التوضيحيَّة، والصور الفوتوغرافيَّة، والتي شملت العناصر التخطيطيَّة والمعماريَّة لهذه المساجد كافَّة.

وتناولت الدراسة عمارة المساجد العثمانيَّة في محافظة إربد، من حيث موضع المسجد من القرية التي يقع فيها، ثمَّ وصف المسجد وصفًا تخطيطيًّا معماريًّا دقيقًا شمل نظام التخطيط، وموادَّ البناء، وتحليل العناصر المعماريَّة، وظيفة وشكلاً، وتاريخ ظهور تلك العناصر في العمارة العربيَّة والإسلاميَّة.

وعقدت الأطروحة دراسة مقارنة بين مسجد كُفرَنجة العثمانيِّ ومساجد الدراسة في إربد من حيث نظام التخطيط، والعناصر المعماريَّة، وموادُّ البناء، وخلصت إلى أنَّ المساجد العثمانيَّة في محافظة إربد بُنيت على الطراز المحليِّ الموروث، وهو الطراز المملوكيُّ الذي كان سائدًا قبل الفترة العثمانيَّة، مع ظهور بعض ملامح العمارة العثمانيَّة في الأردنِّ، مثل استخدام الحجارة الصغيرة نسبيًّا، والعقود ذات الصنج الحجريَّة البارزة عن سمت الجدار كما هو الحال في مباني الفترة العثمانيَّة، مثل

محطَّات السكك الحديديَّة، ومبنى سرايا إربد العثمانيِّ. كما خلصت الدراسة إلى أنَّ مساجد الدراسة جميعها ريفيَّة قام على إنشائها أفراد الرعيَّة، فلم يكن للحكّام أو الولاة دور في ذلك؛ فجاءت بسيطة التخطيط، فقيرة الدقَّة في التنفيذ، ممَّا يشير إلى أنَّ إربد كانت ذات طابع زراعيٍّ ريفيٍّ خلال الفترة العثمانيَّة.

تخطيط المدافن الرومانيَّة في موقع البَديَّة
دراسة أثريَّة مقارنة
ريما العقلة

إشراف: زيدون المحيسن

هدفت الدراسة إلى وصف المدافن في موقع البَديَّة الذي يقع على بعد حوالي 15 كيلومترًا جنوب غرب عجلون، وتصنيفها، ومقارنتها بمدافن شمال الأردنِّ في العصر الرومانيِّ. وكانت مدافن البَديَّة كُشف عنها عام 2003، ووثقت برسم مخطَّطاتها، وتصويرها، ودراستها من حيث المدخل، والبوَّابة، والقاعة أو الساحة الداخليَّة، وحجرات الدفن، والقبور وعددها واتجاهها.

توزَّعت الدراسة في خمسة فصول، بيَّن الفصل الأوَّل الإطار العامَّ للدراسة، وأهميَّتها، وهدفها، ومنهجيَّتها. وتناول الثاني موقع البَديَّة جغرافيًّا، والتسمية، والمناخ، وجيولوجيَّة الموقع، وتاريخ البحث الأثريِّ فيه.

وشمل الفصل الثالث عادات الدفن لدى الرومان، ومعتقداتهم، وطقوسهم الجنائزيَّة في الجنازة، والدفن، والعزاء. وتناول الفصل الرابع تصنيف مدافن البَديَّة إلى مجموعات هي:

أوَّلاً: مدافن الحجرات (المدافن الأرضيَّة): وتتميَّز بوجود قاعة ذات مقاييس وأشكال مختلفة، تتفرَّع منها حجرات دفن تحتوي على قبور بمقاييس مختلفة.

ثانيًا: المدافن البئريَّة: حُفرت هذه المدافن في الصخر الجيريِّ عموديًّا، ثمَّ حُفرت بداخلها حجرات الدفن.

ثالثا: المدافن البسيطة: حُفرت هذه المدافن في الصخر الجيريِّ خالية من العناصر المعماريَّة، وهي ذات بروز بسيط يستخدم لوضع الغطاء الحجريِّ الذي يُغلق به القبر.

وعقد الفصل الخامس دراسة مقارنة بين مدافن البَديَّة ومدافن جرش، ويَعْمون، وقويلبة، وطبقة فحل، وأمِّ قيس، واليَصيلة، وسال، والذنيبة.

كنيستا مار الياس، دراسة معماريَّة فنيَّة
سحر القضاة

إشراف: زيدون المحيسن

تناولت الأطروحة أهميَّة موقع دير مار الياس الأثريِّ الذي يعود إلى نهاية العصر البيزنطيِّ وبداية العصور الإسلاميَّة، وذلك في سياق دراسة معماريَّة وفنيَّة لكنيستَي دير مار الياس. إضافة إلى إبراز الأهميَّة الدينيَّة للموقع، والذي اعتمده الفاتيكان عام 1999 موقعًا من مواقع الحجِّ المسيحيِّ في الأردنِّ.

استندت الدراسة إلى المصادر التاريخيَّة، وتقارير الحفريَّات الأثريَّة، المنشور منها وغير المنشور، والدراسات العربيَّة والأجنبيَّة، إضافة إلى الزيارات الميدانيَّة إلى موقع دير مار الياس. وشملت الدراسة ثلاثة فصول؛ تناول الفصل الأوَّل مبحثين، الأوَّل: عجلون في العصر البيزنطيِّ، متضمِّنًا تمهيدًا عن عجلون في العصور القديمة، مرورًا بالعصر البيزنطيِّ، وانتهاءً بالعصور الإسلاميَّة. أمَّا المبحث الثاني؛ فتناول موقع دير مار الياس، وتسميته، وأهميَّته الدينيَّة، ومراحل سكناه.

وشمل الفصل الثاني دراسة معماريَّة لكنيستَي دير مار الياس، أُفرد لكلٍّ منهما مبحث منفصل، بينما تناول المبحث الثالث من هذا الفصل اللقى الأثريَّة في موقع مار الياس.

وتضمَّن الفصل الثالث دراسة فنيَّة لكنيستَي دير مار الياس، شملت زخارف الأرضيَّات الفسيفسائيَّة، والنقوش الكتابيَّة في الكنيسة العليا، والزخارف الحجريَّة لتاجيَّات الأعمدة. وخلصت الدراسة إلى ما يلي:

- تتشابه الكنيستان موضوع الدراسة في التخطيط البازيليكيِّ.
- تتشابه الفسيفساء في عناصرها الزخرفيَّة، وألوانها، واحتوائها على موضوعات من الطبيعة والبيئة المحليَّة، مثل أوراق الكرمة وأغصان الأكانثوس.
- تخلو هاتان الكنيستان من الرسومات الآدميَّة.
- يشير حجم الكنيستين، الصغيرة والمتوسِّطة، إلى أنهما مشروعا إنشائيَّان لم تشرف عليهما الدولة، بل محليَّتان فرديَّتان قام عليهما متبرِّع أو محسن. وقد استُدلَّ على ذلك بالنقوش الكتابيَّة التأسيسيَّة فيهما.

تحصينات مدينة الجزائر إبَّان الحكم العثمانيِّ
نماذج مختارة: دراسة أثريَّة ميدانيَّة
فضيلة حمزاوي

إشراف: صالح ساري

اشتملت الدراسة على مقدِّمة وأربعة فصول، عرضت المقدِّمة للأوضاع التاريخيَّة التي سادت شمال إفريقيا عامَّة، والجزائر خاصَّة، وحالة المخاض التي مرَّت بها حتَّى قيام دولة العثمانيِّين، وتحوُّلها إلى عاصمة مهمَّة. شهدت هذه المرحلة خطر الحملات الصليبيَّة على المنطقة استمرارًا لحملة تحطيم الأندلس؛ وظهرت المدينة على مسرح الأحداث لأهميَّتها الاستراتيجيَّة، وأضحت مدينة الجهاد ضدَّ الصليبيِّين حين اتَّخذت من البحر منطلقًا لها، وزادت قوَّتها البحريَّة بازدهار تجارتها، فزادت أطماع العدو بها.

اشتمل الفصل الأوَّل على مبحثين رئيسَين تناولا أسباب نشأة المدينة، وأصول تسميتها، وموقعها الجغرافي وتكوينها الجيولوجيَّ، وأثر موضع المدينة في التخطيط، وتطوُّرها التاريخيِّ إلى أنْ أصبحت عاصمة للأيالة العثمانيَّة بشمال إفريقيا. وتناول الفصل الثاني أسباب الحملات الأوروبيَّة الشرسة على المدينة، وإقامة المباني الدفاعيَّة التي أنشأها الجزائريُّون لصدِّ محاولات العدو المتكرِّرة، وأبرز أنواع الأبراج بحسب توزيعها، فمنها البحريَّة، مثل برج تامنتفوست وبرج الكيفان، ومنها ما كان على الجبل، مثل حصن الإمبراطور، إذ أضحت الجزائر ميناءً استراتيجيًّا انفرد بكثرة تحصيناته، واصطفَّت فيه أقوى الحصون والمدافع.

وجاءت في الفصل الثالث النماذج المختارة للدراسة الأثريَّة الميدانيَّة، فاختارت الباحثة أربعة منها لا تزال قائمة، وبيَّنت دوافع اختيارها، ودلالتها التاريخيَّة، وبناءها الخارجيَّ والداخليَّ للتعريف بمعالمها الأصليَّة والمستحدثة، وأنواع الدمار التي لحقت بها.

أمَّا الفصل الرابع؛ فتضمَّن دراسة العناصر المعماريَّة والزخرفيَّة، فعلى الرغم من أنَّ هذه المباني ذات طابع حربيٍّ، إلا أنها ساهمت في تطوير نمط معماريٍّ مميَّز، وعناصر معماريَّة خاصَّة بأبراج المدينة وقلاعها وحصونها.

عادات الدفن في تايلوس/ موقع الشاخورة
محمَّد معراج

إشراف: زيدون المحيسن

يعدُّ موقع الشاخورة من المواقع الأثريَّة المهمَّة في مملكة البحرين، وهو يحتوي على عديد من طرز المدافن المميَّزة لحضارة تايلوس، بأشكالها وأحجامها، وطرز عمارتها المبنيَّة بالحجارة الكلسيَّة والجصِّ. وقد عُثر في غرف الدفن على العديد من المرفقات الجنائزيَّة التي تدلُّ على ثراء شعب هذه المنطقة.

تكمن أهميَّة الدراسة في الكشف عن الناحيتَين المعماريَّة والدينيَّة في مقابر الشاخورة التي ترجع إلى الفترة الهلنستيَّة، والتي لم تكشف عنها التنقيبات الأثريَّة ابتداءً من تاريخ العمل الأثريِّ المنظَّم في البحرين منذ عام 1953 إلى الوقت الحاضر، فجاءت هذه الدراسة إضافة نوعيَّة جديدة حول عادات الدفن في فترة تايلوس.

وهدفت الدراسة إلى وضع تصوُّر حول أشكال تلال المدافن في موقع الشاخورة استنادًا إلى العمل الأثريِّ الميدانيِّ في الحقل B من تلِّ 2، وذلك بهدف دراسة مراحل إنشاء التلِّ، ووضعيَّات الدفن فيه وطقوسه، وبيان أوجه النشاط الدينيِّ

وعلاقتها بعادات الدفن لدى الأنباط، والتدمريِّين، والحضريِّين الذين عاصروا فترة تايلوس.

وكانت أُوكلت إلى الباحث مسؤوليَّة الإشراف على العمل الميدانيِّ في هذا التلِّ، تمكَّن خلالها من استخلاص نتائج جديدة ومهمَّة تتعلَّق بتقنية بناء المقابر التي صنِّفت إلى أنماط عدَّة من الجدران القوسيَّة، والتي لم تُذكر في التقارير الأوليَّة للبعثات الأجنبيَّة (لا سيَّما الألمانيَّة والفرنسيَّة)، وفي تقارير إدارة الآثار والتراث البحرينيَّة في قسم الدراسات والبحوث بمتحف البحرين الوطنيِّ، والتي كانت تولي اهتمامها غالبًا بتلال المدافن (التمولي) التي تعود إلى حضارة دلمون (الألف الثالث قبل الميلاد).

ويُذكر أنَّ "تايلوس" هو الاسم اليونانيُّ لجزيرة البحرين في الفترة الهلنستيَّة. وتنتشر المدافن التي ترجع إلى فترة تايلوس في تلال قرى البحرين، كالشاخورة، والمقشع، وجنوسان، وسار، وبار بار، ومدينة حمد. وتعود هذه المدافن إلى أقوام شيَّدت قبورها بالحجارة والجصِّ في تلال ركاميَّة اصطناعيَّة من الرمال والحجارة. وأظهرت أعمال التنقيب اختلاف تخطيط مدافن تايلوس في أشكالها وطرزها، والتي تميَّزت من مدافن الفترة السابقة لها، لا سيَّما المدافن الدلمونيَّة الشهيرة التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، والتي يقدَّر عددها بنحو 150000 مدفن.

نماذج من أنماط استيطان العصر البرونزيِّ المتوسِّط في فلسطين

محمَّد العدارية
إشراف: خالد أبو غنيمة

تهدف الدراسة إلى التعرُّف على أنماط الاستقرار التي سادت فلسطين خلال العصر البرونزيِّ المتوسِّط، وأهمِّ خصائص هذه المرحلة من تاريخ فلسطين، لا سيَّما دراسة ظاهرة ازدياد عدد المواقع، وأسبابها. إضافة إلى التعرُّف على نماذج الاستقرار التي سادت العصر البرونزيَّ المتوسِّط 2000-1550 قبل الميلاد، وذلك بتحديد المسميَّات الوظيفيَّة للتجمعَّات السكنيَّة، ومحاولة تصنيفها، وإعطاء المسمَّى الملائم لشكل المستقرِّ الدائم. وركَّزت الأطروحة على دراسة عدد من نماذج الاستقرار في المواقع التي جرت فيها أعمال التنقيب والمسح الأثريَّين.

استندت الدراسة إلى التقسيمات الجغرافيَّة لتضاريس فلسطين، والتي كان لها دور رئيس في توزيع مناطق الاستقرار خلال هذه الفترة. وشملت الدراسة خمسة فصول: تناول الفصل الأوَّل جغرافيَّة فلسطين، وتضاريسها، ومناخها. أمَّا الفصل الثاني؛ فتضمَّن تعريف الاستقرار، وبيان دور البيئة فيه، ودراسة نماذج الاستقرار، ثمَّ استعراض العوامل الطبيعيَّة والبشريَّة التي أثرت في تحديد أنماطه.

وقدَّم الفصل الثالث لمحة تاريخيَّة عن الأحوال السائدة خلال الفترة الانتقاليَّة في الربع الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد، واستعراض التقسيمات الزمانيَّة الفرعيَّة للعصر البرونزيِّ المتوسِّط. وشمل الفصل كذلك دراسة الأحوال السياسيَّة في العصر البرونزيِّ المتوسِّط من خلال الوثائق التاريخيَّة، لا سيَّما الوثائق المصريَّة التي تتضمَّن معلومات مهمَّة عن طبيعة الحياة في فلسطين خلال هذه المرحلة.

أمَّا الفصل الرابع؛ فتناول توزيع مراكز الاستقرار في فلسطين في العصر البرونزيِّ المتوسِّط، وأُدرجت المواقع الجغرافيَّة في جداول توضيحيَّة بحسب كلِّ منطقة جغرافيَّة، إذ ناقش الفصل طبيعة الاستقرار ومميِّزاته، وذلك بإجراء دراسة إحصائيَّة تحليليَّة مقارنة لطبيعة الاستقرار في كلِّ منطقة. وحُدِّدت أنماط الاستقرار في العصر البرونزيِّ المتوسِّط بإعطاء المسمَّيات الملائمة للمستقرَّات الدائمة. وأُفرد الفصل الخامس لدراسة عدد من المواقع المهمَّة التي تعود إلى العصر البرونزيِّ المتوسِّط، وهي: رأس العين، وتلُّ الجريشة، وتلُّ العُجول في السهل الساحليِّ الفلسطينيِّ، وتلُّ المتسلِّم، وتلُّ بيت مِرْسِم في مناطق الجبال، وتلُّ القَدَح في شمال فلسطين، وتلُّ الملح في هضاب بئر السبع.

خطّة لترميم كنيسة أمّ العمد في موقع قويلبة الأثريّ (أبيلا)

ورود سماره

إشراف: زياد السعد

تتعرّض هذه الدراسة لأهمّ المسائل الملّحة المتعلّقة بالتراث الحضاريّ، وهي عمليّات تلف المباني الأثريّة، متضمّنة إعداد خطّة لإعادة بناء كنيسة أمّ العمد في موقع قويلبة الأثريّ الذي يعدُّ أحد أهمّ المواقع الأثريّة في الأردنّ.

جرت عمليّات ترميم عديدة في الموقع؛ غير أنها لم تُجر وفق الأسس العلميّة ومبادئ علم الترميم التي تفرضها المعايير الدوليّة. وقد حُدّدت عوامل تلف المباني التاريخيّة، سواء كانت طبيعيّة أم بشريّة، واتُّبعت تجارب مخبريّة عدّة لدراسة أهمّ العوامل التي أثرت في تدمير الكنيسة، بهدف:

- تحديد أسباب التلف الرئيسة، وإيجاد الحلول الملائمة لها.
- فحص فعاليّة بعض موادّ التقوية على حجارة الكنيسة.
- تحديد نوع الملاط والقصارة المستخدمة في بناء الكنيسة.
- تحديد الخواصّ الكيميائيّة والفيزيائيّة باستخدام معايير الصناعة الألمانيّة DIN.

أمّا التجارب المخبريّة التي اتُّبعت؛ فهي:

- التحليل المجهريُّ.
- حيود الأشعّة السينيّة.
- قياس قدرة موادّ التقوية على النفاذ في الحجر.
- قياس قدرة موادّ التقوية على منع الحجر من امتصاص الماء بالمسامية.
- قياس فعاليّة موادّ التقوية في حماية الحجر من ظاهرة تبلُر الأملاح.

أظهرت التجارب المجهريّة نوعين من عيّنات الحجارة: Wackstone، وMudstone، والموادَّ الرئيسة في تركيبها، فقد بيّنت نتائج حيود الأشعّة السينيّة أنّ المكوّن الرئيس لهذا النوع من العيّنات هو الكالسايت. وتبيّن أنّ مادة الملاط والقصارة، أو المونة، المستخدمة في بناء الكنيسة هي مونة جيريّة.

أمّا نتائج فحص قدرة موادّ التقوية على النفاذ في الحجر؛ فقد أشارت إلى أنّ أفضل الموادّ في النفاذيّة هو Wacker OH، يليه Remmer، ثمّ Wacker H، وأظهرت التجارب أنّ Wacker OH، وWacker H هما أفضل الموادّ لمنع امتصاص الحجر للماء. أمّا نتائج تجربة مقاومة تبلُر الأملاح؛ فأشارت إلى فعاليّة Remmer وWacker OH في زيادة قدرة مقاومة الحجر، وهو استنتاج يشير إلى عدم وجود مادّة واحدة تتوافر فيها جميع الشروط والمواصفات الملائمة لتقوية الأساسات والأعمدة المتبقيّة في الكنيسة، لذا لا بدّ من استعمال عدد من هذه الموادّ في الوقت ذاته.

دراسة الملاط والموادّ الشبيهة بالملاط من موقع خربة الذريح (الأردنّ)

يونس اعمر

إشراف: زياد السعد. مشرف مشارك: زيدون المحيسن

تهدف الدراسة إلى التعرُّف على أنواع الملاط، والموادّ الشبيهة بالملاط، والتي كانت استُخدمت في خربة الذريح التي تعود إلى ما بين القرنَين الأوّل والسابع الميلاديّين.

اختيرت 28 عيّنة أثريّة مختلفة من خربة الذريح خلال موسمَين من الأعمال الميدانيّة (آب 2004، وأيّار 2005)، وصنِّفت تلك العيّنات إلى ثلاث مجموعات استنادًا إلى وظائفها، وهي: الموادُّ الرابطة، والقصارة، والملاط المائيُّ.

واتُّبعت مناهج كيميائيّة ومعدنيّة في تحليل العيّنات، فاستُخدمت تحاليل النسب الكربونيّة في الأوّل، والفحص المجهريُّ وحيود الأشعّة السينيّة في الثاني. وأظهرت التحاليل الكيميائيّة وجود ثلاثة أنواع من الملاط استنادًا إلى نسبة الجير فيها، وهي: عالي التركيز، ومتوسّط التركيز، ومنخفض التركيز. وأكّدت الفحوصات المجهريّة، وحيود الأشعّة السينيّة، أنّ النوع الثالث هو الملاط الجبسيُّ، بينما أشارت النسبة المتوسّطة للجير إلى استخدام مادّتي الجبس والجير معًا. كما أظهرت الدراسة استخدام الجبس بشكل كبير مادّة رابطةً بين الحجارة، وفي القصارة، ولم يظهر أيُّ اختلاف في تركيبة هذا النوع من الملاط

واستخدامه منذ الفترة النبطيَّة وحتَّى القرن السابع الميلاديِّ. لذا؛ يمكن القول إنَّ استخدام الجبس كان تقليدًا محليًّا، وإنَّ الجير قد استُخدم في الموادِّ الرابطة، والقصارة، وفي الملاط المائيِّ. وأظهرت الدراسة أنَّ مختلف الموادِّ المضافة كانت تُعدُّ من الجبس، والحجر الجيريِّ، والكوارتز، والصوَّان، وجميعها متوافر في الموقع وأطرافه. إضافة إلى استخدام الرماد والفحم في بعض العيِّنات، بقصد الحصول على ملاط ذي نوعيَّة وقوَّة عاليتَين. وقد أسهمت إضافة نسبة عالية من الكوارتز إلى القصارة الجيريَّة في جعلها أكثر مقاومة للتشقُّق. ويشير هذا الاختيار المقصود للموادِّ المضافة إلى المهارات العالية لسكَّان موقع الذريح، ومعرفتهم العالية بتقنيَّات صناعة الملاط، كما أظهرت مهارات القصَّارين في إنتاج تركيبات وطبقات متنوِّعة من القصارة. ويمكن تفسير الاستخدام الكبير للجبس، مقارنة بالجير، بقلَّة الخشب اللازم للوقود، إذ يتطلَّب إنتاج الجير درجات حرارة مرتفعة جدًّا مقارنة بالجبس.

مدوَّنة النقوش النبطيَّة في شماليِّ الأردنِّ

إخلاص رحاحلة

إشراف: عمر الغول

هدفت الدراسة إلى وضع مدوَّنة للنقوش النبطيَّة المنشورة التي عُثر عليها في المناطق الشماليَّة الشرقيَّة من الأردنِّ، ومحاولة جمع هذه النقوش المتفرِّقة، وترجمتها، والتعليق عليها، ودراسة أسماء الأعلام فيها.

وتعدُّ النقوش من أهمِّ المصادر في دراسة تاريخ الأنباط، وقد انتشرت في مختلف بقاع المملكة النبطيَّة وبأعداد متفاوتة. وحتَّى تاريخ إعداد الرسالة، كُشف عن ثلاثة وسبعين نقشًا نبطيًّا في منطقة شماليِّ الأردنِّ، تضمَّنت مناطق أمِّ الجمال، وأمِّ السِّرب، وأمِّ القطين، وتلِّ قعيص، وخْشاع السْليتين، ودير الكهف، وصَبحا وصُبحيَّة، ومتحف المفرق. وجميع هذه النقوش منشورة، فليتمان نشر واحدًا وخمسين نقشًا من مناطق أمِّ الجمال، وأمِّ القطين، وأمِّ السِّرب، وصَبحا وصُبحيَّة، وكوم الروف وتلِّ قعيص، وكان هذا أثناء حملة جامعة برينستون، ونشرت النقوش الأخرى في مصادر متفرِّقة.

جاءت الدراسة في فصلَين، تضمَّن الأوَّل منهما دراسة النقوش النبطيَّة في مناطق شمال شرق الأردنِّ، وقد اتُّبعت المنهجيَّة التالية في الدراسة:

أُعطي كلُّ نقش رقمًا جديدًا حسب تسلسله في المدوَّنة، مع ذكر موقع النقش، والنشرة الأساسيَّة للنقش، والدراسات السابقة التي تناولت النقش بالنشر أو التعليق، مع ذكر نوع الحجر وقياسه وقياسات الحروف، وإيراد صور ورسم النقوش كما وردت في مصادرها. كما تضمَّنت صورًا لبعض نقوش ليتمان غير موجودة في أيِّ مصدر آخر. تلا ذلك الترجمة، والتحليل للنقش، والتعليق عليه. وخلصت دراسة هذا الفصل إلى أنَّ محتوى النقوش في غالبيَّته أسماء أعلام، لذلك جاء الفصل الثاني مخصَّصًا لدراسة أسماء الأعلام الواردة في نقوش الفصل الأوَّل، وفيه عملت الباحثة على استخراج معنى الاسم من لسان العرب، ومعجم النقوش الساميَّة الشماليَّة الغربيَّة، إنْ وجد، وذكر النقش الأصليِّ الذي ورد فيه اسم العلم، واستخراجه كذلك من المصادر النبطيَّة، والتدمريَّة، والعربيَّة الشماليَّة، واليونانيَّة، ومقابلها في العربيَّة، إنْ وجد، ثمَّ محاولة تحديد الصيغة الصرفيَّة للاسم. وخلصت دراسة أسماء الأعلام إلى أنَّ معظم الأسماء عربيَّة.

نقوش عربيَّة شماليَّة قديمة من شمال المملكة العربيَّة السعوديَّة، دراسة تحليليَّة مقارنة

مدُّ الله العنزي

إشراف: نبيل بدر

هدف البحث إلى دراسة وتحليل نقوش عربيَّة شماليَّة قديمة، جُمع عدد كبير منها من مناطق مختلفة في شمال المملكة العربيَّة السعوديَّة. واختير منها تسعون نقشًا من منطقة جغرافيَّة واحدة ضمَّت أربعة مواقع هي: سمراء الرشراشيَّة، وجبال أمِّ العنن، ومقل، وقراقر. وتعود أهميَّة النقوش المستكشفة في هذه المواقع إلى أمرَين، أوَّلاً: قربها

مـن الحـدود الأردنيَّـة السـعوديَّة، إذ يمكـن معرفـة مـدى الترابط اللغويِّ والقبليِّ فيما بين القبائل الـتي كانت تقطن المنطقة في ذلك الوقت. ثانيًا: إنَّ المنطقة المعنيَّة بالدراسة لم تنل حظًّا وافـرًا مـن المسـح الشـامل للنقـوش، لـذا؛ يأمل الباحث أنْ تساعد هذه الدراسة في كشف بعض الغموض الذي يحيط بحياة هـؤلاء الأعـراب وتـاريخهم، وأنْ تسهم في حفظ النقوش من الضياع والتلف.

قـدَّم الباحـث للدراسـة بمقدِّمـة عامَّـة شملـت قـوائم بالمختصـرات والرمـوز المسـتخدمة في النقـوش، مـع تقـديم لمحتوى الرسـالة بشـكل عـامٍّ. ثمَّ قسِّمت الدراسة إلى ثلاثة فصـول، اشـتمل الفصـل الأوَّل علـى نبـذة عـن جغرافيَّـة المنطقة، وتاريخها، وأهمِّ الدراسات السابقة ذات الصلة.

وفي الفصـل الثـاني، سـاق الباحـث النقـوش منقحـرة، ثـمَّ مترجمة إلى العربيَّة، ثمَّ وُصفت النقوش، وطريقـة الكتابـة عليهـا، والحجـارة الـتي كتبـت عليهـا، وتـلا ذلـك تحليـل مقـارن لأسمـاء الأعـلام والمفـردات بمـا يقابلـها بالعربيَّـة الشـماليَّة والجنوبيَّـة القديمـة. وقسِّمت منطقـة الدراسـة إلى مواقـع جغرافيَّـة، وأُعطيـت النقـوش المدروسـة أرقامًـا متسلسلة. كما وُضعت أرقام للرجوم الـتي وُجدت النقوش عليها. وجاءت الدراسة بحسب المواقع من الغرب إلى الشرق.

أمَّا في الفصل الثالث؛ فحاول الباحث درس بعض الألفاظ المستجدَّة في هذه النقوش من أسماء أعلام، وصيغ لغويَّة، وأسماء آلهة، كما بيَّن صلة القرابة بين أصحاب النقوش. ثـمَّ وُضـعت قـوائم لأسمـاء الأشـخاص، وأسمـاء القبـائل، وأسماء الآلهة.

الزعامة الاجتماعيَّة السياسيَّة في سوُف، محافظة جرش: أنماطها وعناصرها

خضر عتوم

إشراف: محمَّد الشنَّاق

تبحث هذه الدراسة في عناصر الزعامة السياسيَّة التقليديَّة وعلاقتهـا بالدولـة، وهـو أحـد الموضـوعات الـتي تُعنـى بهـا الأنثروبولوجيا السياسيَّة لدراسة المجتمعات المحليَّة. وتهدف الدراسـة إلى تفكيـك عناصـر الظـاهرة السياسـيَّة في الشـكل الاجتمـاعيِّ السياسـيِّ الـذي عاشـته الجماعـات والتكـتُّلات الاجتماعيَّـة السياسـيَّة في منطقـة الدراسـة، ومحاولـة فهـم مجمـوع العلاقـات الـتي كانـت تحكـم السلوكات السياسيَّة لزعماء تقليديِّين لعبوا دورًا مهمًّا في فترات زمنيَّة متفاوتة شهدت تحوُّلات طالت تلك الأشكال والمضامين السياسيَّة على حدٍّ سواء.

واختيرت منطقة "سوُف" في جرش ميدانًا لهذه الدراسة، لما تمثلـه مـن خصوصـيَّة مكَّنـت الباحـث مـن رصـد الحالـة الاجتماعيَّة السياسيَّة التي عاشها سكَّان هذه المنطقة، وما تتضمَّنه من أنماط، وعناصر، وتركيبات سياسيَّة تقليديَّة شهدت عددًا من التحوُّلات الأساسيَّة، خاصَّة ما يتعلَّق منها بمرحلـة دخـول الدولـة الحديثـة ومؤسَّسـاتها، وهـو موضـوع الدراسة الرئيس.

واعتمدت الدراسة على الطرق الأنثروبولوجيَّة الـتي انتهجت الملاحظـة بالمشـاركة، والمقابلـة، والزيـارات الميدانيَّـة، مـع التركيـز علـى دور الإخبـاريِّين مصـدرًا أوَّلاً لروايـة التـاريخ الشفويِّ الخاصِّ بمجتمع الدراسة إبَّان المرحلة التي سبقت، ورافقت، وأعقبت ظهور الدولة الحديثة في شرق الأردنِّ.

أمَّـا إشـكاليَّة الدراسـة؛ فـتتلخَّص في فحـص الظـاهرة السياسـيَّة ضـمن جماعـات الدراسـة، ومحاولـة رصـد أهـمِّ عناصرها، وأشكالها، ومضامينها، عبر تحليل الممارسات ذات الطـابع السياسـيِّ للزعمـاء المحليِّين، ومـا رافقهـا مـن سياقات الحياة العامَّة المتألِّفة من هـذا النسيج المعقَّد من العلاقـات الـتي تتخلَّـل مسـتويات عـدَّة مـن حيـاة الإنسـان والجماعة في الوحدة الجغرافيَّة السكَّانيَّة الواحدة.

ولوضـع الدراسـة في إطارهـا المنهجيِّ الصـحيح؛ كـان لا بـدَّ مـن إدراجهـا علـى شـكل فصـول خمسـة، تنـاول الأوَّل منهـا وصفًا إثنوغرافيًّا في هيئة قصَّة مختزلة من روايات عدَّة، استعرضـت أهـمَّ الأشـكال والمحطَّـات، وأهـمَّ الرمـوز والزعامـات السياسـيَّة في التـاريخ الـذي يحفظـه النـاس. أمَّـا القصَّـة الثانيـة؛ فتناولـت قصَّـة حـبٍّ ذات نهايـة حزينـة، أراد

الباحث بها إعطاء صورة مفارقة لميدان السياسيِّ، وقطع هذا الاسترسال مع الأحداث ذات البعد السياسيِّ، والتي غالبًا ما تتصدَّر الرواية التاريخيَّة على حساب الأحداث الأخرى المفارقة، فيبدو التاريخ سلسلة من الأحداث، والمواقف البطوليَّة الرجوليَّة تحديدًا، في الوقت الذي تتنحَّى الأحداث الأخرى فيه جانبًا، ولا تأخذ هذا القدر من الأهميَّة لأسباب هي غالبًا إيديولوجيَّة، تتَّصل بمَن يصوغ الخطاب، وبالأغراض التي يُصاغ لأجلها.

وبرزت في الفصل الثاني أهمُّ معالم المنهجيَّة النظريَّة للدراسة، وأهمُّ عناصر الإشكاليَّة النظريَّة التي اكتنفت مسيرة البحوث التي تناولت الشؤون السياسيَّة والاجتماعيَّة والإنسانيَّة لدى كثير من الباحثين، سواء في الأردنِّ أو الوطن العربيِّ. إضافة إلى استعراض أهمِّ العناصر الجغرافيَّة، والمناخيَّة، والسكانيَّة، وعلاقة المكان بالوحدة السياسيَّة المسمَّاة بالعشيرة، وأهمِّ ملامح الحياة الاقتصاديَّة الإنتاجيَّة للسكَّان.

واستعرض الفصل الثالث أهمَّ عناصر الزعامة، وعلاقتها بالثروة، وذلك لإلقاء مزيد من الضوء على أهمِّ شروط الزعامة، وسياقاتها العامَّة، وعلى أهمِّ صفات الزعامة، والسياقات الاجتماعيَّة الثقافيَّة التي تظهر خلالها. كما ناقش هذا الفصل طبيعة العلاقة بين الزعيم التقليديِّ والدولة، كونها شكَّلت مفصلاً مهمًّا، ومحورًا رئيسًا في تشكُّل الحياة السياسيَّة في مجتمعنا التقليديِّ والمعاصر.

أمَّا الفصل الرابع؛ فتناول تحليل سلطة العشيرة المسيطرة على الشأن السياسيِّ، وبعض ملامح السلطة التي تملكها وأشكالها، ومنها سلطة الخطاب والسيطرة على رواية التاريخ. ثمَّ ناقش هذا الفصل حراك الزعامات، واستراتيجيَّاتها في سياق علاقتها بتعقيدات العمل السياسيِّ، ومتطلَّبات الجماعة وشروطها من جهة، ومتطلَّبات الدولة من جهة ثانية، ومقابلة ذلك بحاجات الزعيم على المستوى الشخصيِّ. كما قدَّم هذا الفصل لأهمِّ ملامح حضور الدولة، واستراتيجيَّاتها، وأهمِّ وظائف الزعيم وأدواره في الحياة الاجتماعيَّة السياسيَّة للجماعات والوحدات التي شكَّلت الخريطة السياسيَّة في المنطقة.

دراسة بقايا العظام الحيوانيَّة من موقع المدرَّج، بيت راس

روحي جوارنة

إشراف: عبد الحليم الشيَّاب

هدفت الدراسة إلى التعرُّف على البقايا العظميَّة التي عُثر عليها في موقع المدَّرج، بيت راس (كابيتولياس) عام 2002، فقد جُمعت 16051 قطعة عظميَّة كاملة، ومكسورة، تعود إلى الفترة المتأخِّرة من العصر الرومانيِّ، والعصرين البيزنطيِّ والإسلاميِّ.

استطاع الباحث التعرُّف على 7309 قطعة عظميَّة حيوانيَّة تنتمي إلى الفصائل التالية: الأغنام/الماعز، والأبقار، والغزلان، والجمال، والخنازير، والخيول، والكلاب، والقطط. وكانت الأغنام/الماعز الفصيلة السائدة، إذ كوَّنت 70.89٪ من مجموع البقايا العظميَّة الحيوانيَّة.

وأشارت الدراسة إلى اعتماد سكَّان بيت راس على فصيلة الأغنام/الماعز، ثمَّ الأبقار، بينما اقتنيت فصيلة الغزلان لغايات الصيد، والجمال لأغراض التجارة، والكلاب للحراسة والصيد. واستخدمت الخيول في أشغال الحراثة، والزراعة، وحمل الأمتعة. ويشير وجود عظام فصيلة الخنازير إلى خصوبة أرض بيت راس، وكثرة الحقول والكروم فيها، لا سيَّما العنب. وقد دلَّت الدراسة على أنَّ الحيوانات قد شكَّلت مصدرًا رئيسًا للغذاء لدى سكَّان بيت راس، وأنَّ تلك الحيوانات كانت ذات صحَّة جيِّدة، ولا وجود لما يدلُّ على إصابتها بالأمراض.

المستشفى وتجربة المرض والعلاج دراسة حالة من مدينة الرمثا

سيليفيا سكرميري

إشراف: عبد الحكيم الحسبان

تناولت الدراسة ظواهر الصحَّة والمرض والأنماط العلاجيَّة السائدة في مدينة الرمثا، فرصدت تجربة المرض والعلاج لدى السكَّان المحليِّين، بهدف التعرُّف على الواقع الاجتماعيِّ والثقافيِّ، والممارسات الطبيَّة السائدة، وما طرأ

على المجتمع من تغيُّرات اجتماعيَّة، وثقافيَّة، واقتصاديَّة، وتعليميَّة، رافقها تحوُّل من الطبِّ التقليديِّ إلى الطبِّ الحديث؛ فقد ساد الطبُّ التقليديُّ القرية متناغمًا وظروفها الاجتماعيَّة، والثقافيَّة، والاقتصاديَّة، والبيئيَّة. وشكَّلت الثقافة المحليَّة التقليديَّة بمكوِّناتها الدينيَّة، والغيبيَّة، والاجتماعيَّة، تفسيرًا منطقيًّا لحدوث المرض، وتحديد الممارسات العلاجيَّة للقضاء عليه.

وقد أدَّى التطوُّر في مناحي الحياة المختلفة إلى انتقال السكَّان إلى ظروف حياتيَّة جديدة ساعدت في تقبُّل الخدمات الصحيَّة الحديثة والاستفادة منها؛ فدخول خدمات الرعاية الصحيَّة الحديثة إلى مجتمع مدينة الرمثا أدَّى إلى تحوُّل ثقافي في تفسير الإصابة بالمرض، وطرق الوقاية منه، والبحث عن العلاج. وأمسى النمط الطبيُّ الحديث سائدًا، وتغيَّر منحى الاعتقاد بالمسبِّبات المرضيَّة التي أملتها الثقافة التقليديَّة على السكَّان.

وكشفت الدراسة أنَّ العوامل الاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والثقافيَّة، إضافة إلى التعليم، وتوافر خدمات المواصلات، والمياه، والكهرباء تلعب دورًا مهمًّا في طرق البحث عن العلاج، واختيار نمطه، وتحديد طريقة مشاركة المريض في اتِّخاذ قرار اللجوء لنمط طبيٍّ محدَّد طلبًا للشفاء.

ظاهرة تلفزيون الواقع والشباب في الأردنِّ
دراسة أنثروبولوجيَّة
لانا مهيار
إشراف: محمَّد الطراونة

هدفت الدراسة إلى تحديد أثر ظاهرة تلفزيون الواقع على الشباب في الأردنِّ، فقامت الباحثة بإعداد استبانة تألَّفت من 17 فقرة ممَّا له صلة بالبيانات الشخصيَّة، و54 فقرة أخرى سعت من خلالها إلى قياس الأثر الاجتماعيِّ والثقافي الذي تحدثه هذه الظاهرة في المجتمع عامَّة. وقد أجريت الدراسة على عيِّنة قوامها 200 طالب وطالبة من جامعة اليرموك، وإحدى كليَّات المجتمع (الكليَّة الأردنيَّة للعلوم والتكنولوجيا)، وطلبة إحدى المدارس الثانويَّة (المدارس الأردنيَّة الوطنيَّة) في مدينة إربد. وخلصت الدراسة إلى ما يلي:

- يتابع جميع أفراد العيِّنة برامج تلفزيون الواقع.
- يقيِّم 51٪ من عيِّنة الدراسة برامج تلفزيون الواقع سلبيًّا، على الرغم من أنها تحظى بقبول ما نسبته 47٪ من فئات الشباب من كلا الجنسَين.
- تؤثر برامج تلفزيون الواقع سلبًا على الفرد، والأسرة، والمجتمع.
- تسعى برامج تلفزيون الواقع إلى تغيير وجهة حياة الشباب، وتوجيههم نحو مفاهيم دخيلة على الثقافة العربيَّة في محاولة للتشكيك بها، وتسويق الثقافة المستوردة بديلاً عنها، والسعي إلى تشويه الثقافة الوطنيَّة.
- لا يختلف الأثر الثقافي الذي تخلِّفه هذه البرامج باختلاف الجنس، والعمر، والمؤهِّل العلميِّ، غير أنَّ ثمَّة اختلاف في الأثر الثقافي يُعزى إلى مستوى الدخل الشهريِّ.

وبالنظر في تلك النتائج، أوصت الدراسة بضرورة قيام القائمين على برامج تلفزيون الواقع باختيار برامج تتَّفق وتقاليد المجتمعات العربيَّة، وعدم نقل البرامج المستوردة عشوائيًّا، دون دراسة آثارها السلبيَّة على الشباب. ودعت الدراسة إلى الحيطة في مشاهدة بعض برامج تلفزيون الواقع، لما لها من أثر أخلاقيٍّ سلبيٍّ على الفرد والمجتمع. ويأتي هنا دور المؤسَّسات التعليميَّة ووسائل الإعلام في توعية الشباب حول الأثر السلبيِّ لبرامج تلفزيون الواقع، وتوجيه انتباههم إلى البرامج التي تساعد الشباب في حلِّ مشاكلهم والابتعاد عن البرامج ذات المستوى غير اللائق.

التآكل المجهريُّ للأسنان لسكَّان يَعْمون في شمال الأردنِّ خلال العصر البرونزيِّ المتوسِّط والمتأخِّر
محمَّد الروسان
إشراف: عبدالله الشرمان

هدفت الدراسة إلى تحديد النمط الغذائيِّ لسكَّان يَعْمون خلال العصر البرونزيِّ المتوسِّط والعصر البرونزيِّ المتأخِّر، وذلك بفحص طبيعة التآكل المجهريِّ لسطح الأضراس

العلويَّة؛ فقد فُحص ثلاثة وعشرون مجسَّمًا من الأضراس بالمجهر الإلكترونيِّ الماسح، ثمَّ حلِّلت الصور المجهريَّة الناتجة باستخدام برنامج Microware 4.02، وحلِّلت النتائج إحصائيًّا باستخدام برنامج SAS. وأظهرت النتائج احتواء عيِّنات العصر البرونزيِّ المتأخِّر على خطوط أعرض، وحفر أكثر من تلك العيِّنات التي ترجع إلى العصر البرونزيِّ المتوسِّط. ويشير هذا إلى اعتماد سكَّان يَعْمون خلال العصر البرونزيِّ المتأخِّر على النبات أكثر. وأظهرت النتائج كذلك عدم تجانس اتِّجاه الخطوط في عيِّنات كلتا الفترتين، في إشارة إلى عدم استخدام سكَّان يَعْمون لأسنانهم كأدوات في حياتهم اليوميَّة.

الرسم الأثريّ (4)

رسم مسقط وواجهة ومقطع رأسيٍّ لغرفة تراثيَّة

علي العمري

رسم مسقط (مقطع أفقيٍّ)

يبدأ العمل بقياس الأبعاد الداخليَّة للغرفة، ثمَّ الأبعاد الخارجيَّة، وذلك باتِّباع الخطوات التالية:

1 - يُختار خطٌّ أساس مرجعًا للبدء بعمليَّة قياس الأبعاد، وليكن (أ ب)، ويُقاس طوله، ويُرسم على ورقة الرسم المعدَّة لذلك بحسب مقياس الرسم المناسب. ويمثل هذا الخـطُّ زاويتَين داخليَّتين ومتجاورتين داخل الغرفة هما (أ ، ب) (الشكل 1 أ).

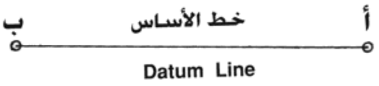

الشكل 1 أ

2 - تُقاس الأطوال (ب د)، و(أ د) بشريط القياس، ثمَّ تُفتح فتحة بالفرجار تساوي المسافة المقاسة (ب د) بحسب مقياس الرسم، ويُركَّز الرأس المدبَّب للفرجار على النقطة (ب)، ويُرسم قوس، ثمَّ يُركَّز رأس الفرجار على النقطة (أ) بفتحة تساوي المسافة المقاسة إلى (أ د)، ويُرسم قوس يقطع القوس الأوَّل، فتكون النقطة (د) التي تشكِّل الزاوية الداخليَّة الثالثة للغرفة (الشكل 1 ب).

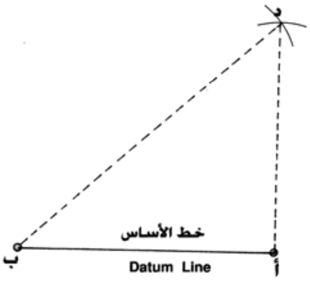

الشكل 1 ب

3 - تُقاس الأطوال (د ج)، و(ب ج) بشريط القياس، ثمَّ يُركَّز الرأس المدبَّب للفرجار على النقطة (د)، وبفتحة تساوي المسافة المقاسة (د ج)، ويُرسم قوس. ثمَّ يُركَّز الفرجار على النقطة (ب)، وبفتحة تساوي المسافة المقاسة (ب ج)، يُرسم قوس يقطع القوس الأوَّل، وتصبح نقطة تقاطع القوسَين (ج) الزاوية الداخليَّة الرابعة للغرفة (الشكل 1 ج).

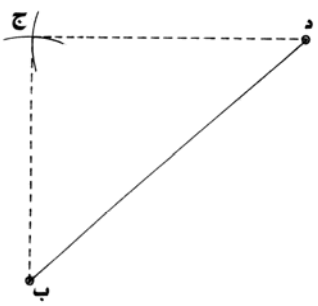

الشكل 1 ج

4 - تُوصَل نقاط الزوايا (أ ب ج د) فتكوِّن خطوط الجدران الداخليَّة للغرفة، وتُقاس من خلال نقاط الزوايا مسافات البداية والنهاية للفتحات والبروزات الموجودة داخل الغرفة (الشكل 2 أ).

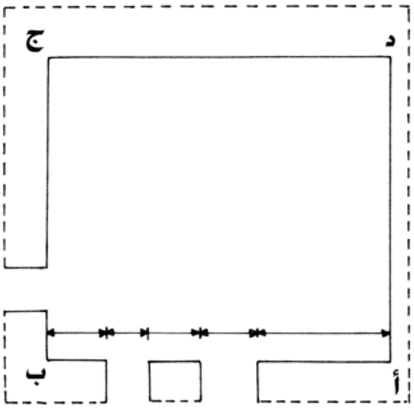

الشكل 2 أ

5 - لرسم الجدران الخارجيَّة للغرفة؛ تُقاس أوَّلاً سماكة الجدران التي توجد فيها فتحات الأبواب أو النوافذ. أمَّا الجدران التي تخلو من تلك الفتحات؛ فيُقاس البعد الخارجيُّ للجدار والبعد الداخليُّ، ويكوِّن الفرق بينهما سماكة الجدار. ولتحديد سمك الجدار (x) تكون:
(x1- x2 = x)، (x4 -x5 = x3) (الشكل 2 ب).

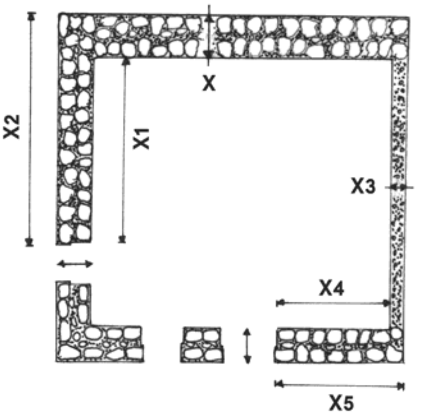

الشكل 2 ب

رسم واجهة الغرفة

6 - تُختار نقطتان على طرفي واجهة الغرفة المراد رسمها، وهما (س، ص). ويجب أنْ تكونا على المستوى نفسه، ويُثبَّت شريط القياس بين النقطتَين، شرط أنْ يبدأ الصفر عند إحدى النقطتَين، ويعدُّ خطُّ الأساس المرجع في عمليَّات القياس (الشكل 3 أ).

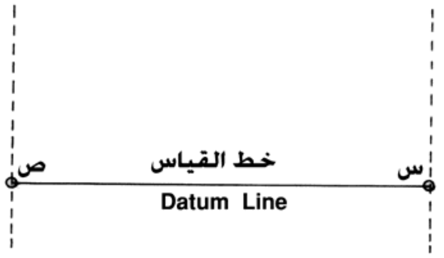

الشكل 3 أ

7 - تُحدَّد الفتحات الموجودة في الواجهة، كالباب مثلاً، وذلك بقراءة المسافة ابتداءً من الصفر على خطِّ القياس، ثمَّ قياس المسافات الرأسيَّة العلويَّة (ر، ز)، والسفليَّة (ع، غ) على بداية ونهاية فتحات الباب والنافذة، ثمَّ يُقاس ارتفاع نهاية السطح عن خطِّ الأساس عند بدايـة الغرفة ونهـايتها (ف، ق)، ثمَّ تُقاس المسافات الرأسيَّة من خطِّ الأساس، لتحديد النهايات السفلى للغرفة (ك، ل) (الشكل 3 ب).

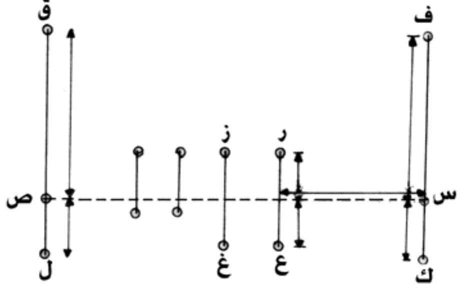

الشكل 3 ب

8 - تُوصَل النقاط (ف، ق)، و(ك، ل)، فتكوِّن الحدود الخارجيَّة لواجهة الغرفة، وتُوصَل كذلك النقاط (ر،ز)، و(ع، غ)، فتكوِّن الحدود الخارجيَّة للباب (الشكل 3 ج).

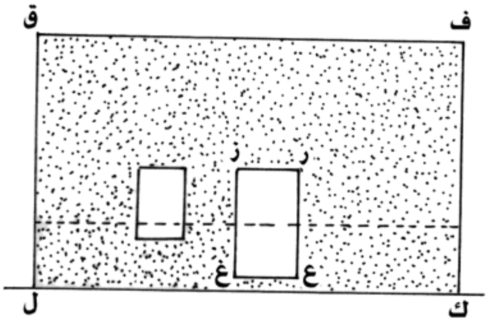

الشكل 3 ج

رسم مقطع رأسيٍّ للغرفة

9 - يأخذ الشكل الخارجيُّ للمقطع شكل الواجهة، إذا كان خطُّ المقطع موازيًا للواجهة، إلا أنه يبيِّن سماكات الجدران، وطبقات السقف، والأرضيَّات التي يمرُّ بها خطُّ القطع؛ فسماكة الجدران تؤخذ من المقطع الأفقيِّ، وسماكة السقف (x) تكون الفرق بين الارتفاعين الخارجيِّ (x2) والداخليِّ (x1) للغرفة ($x=x2-x1$). أمَّا بقيَّة التفاصيل كالعقود والبروزات؛ فتُقاس بالمتر، وذلك برسم خطِّ الأساس (م ن)، وتُقاس الأبعاد الرأسيَّة فوق خطِّ الأساس، وتحته، عند كلِّ متغيِّر، وتُرسم على ورقة الرسم بمقياس الرسم المناسب (الشكل 4 أ).

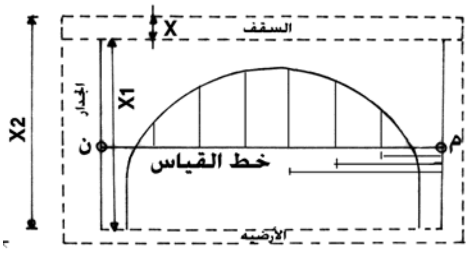

الشكل 4 أ

10 - تُرسم الأشكال، والفتحات، والإضافات، والأرفف، والزخارف التي يمكن مشاهدتها، بالنظر إليها باتِّجاه المقطع، وبنفس الطريقة التي سبق اتِّباعها في رسم الواجهة (الشكل 4 ب).

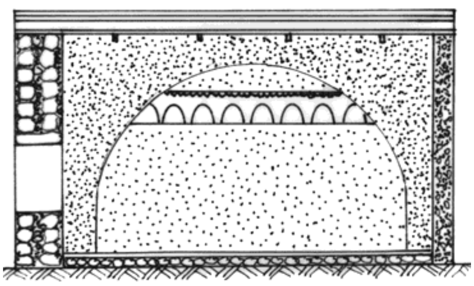

الشكل 4 ب

المسح الجيوفيزيائي في الآثار

موفق بطاينة

يشير المسح الجيوفيزيائيُّ عامَّة إلى التقنيات الجيوفيزيائيَّة المستخدمة في التصوير الطبقيِّ تحت سطح الأرض، وفي إعداد الخرائط المطلوبة للاستخدامات الأثريَّة، ويشير اصطلاحًا إلى أيِّ تطبيق من أساليب المسح الجيوفيزيائيِّ لعلم الآثار، وهو أحد أنواع الاستشعار عن بُعد، كما يستخدم المسح البحريُّ في علم الآثار، ويرادفه في السياق الأثريِّ مصطلح التنقيب الجيوفيزيائيِّ.

نظرة عامَّة

تستخدم أساليب المسح، والخرائط، والمخططات الجيوفيزيائيَّة للكشف عن معالم أثريَّة مطمورة تحت سطح التربة، سواء كانت صغيرة يمكن نقلها، مثل اللقى الأثريَّة والهياكل العظميَّة، أو كبيرة وغير منقولة، مثل الجدران والأرضيَّات. ويمكن للأجهزة الجيوفيزيائيَّة الكشف عن تلك المخلَّفات الأثريَّة بالموجات الكهربائيَّة، أو المغناطيسيَّة، أو الراداريَّة التي يمكنها ملامسة تلك المخلَّفات ومقارنتها بمحيطها. ويصبح الأمر أكثر سهولة ووضوحًا في حالة اللقى الأثريَّة المعدنيَّة، فتؤخذ القراءات على نمط مُنتَظم، تتحوَّل بعد إجراء المعالجة اللازمة لها إلى بيانات يمكن عرضها على شكل خرائط وصور.

وتزوِّد نتائج المسح الجيوفيزيائيِّ علماء الآثار بتصوُّرات عن أجزاء من الموقع الأثريِّ لم يُنقَّب عنها، لذا يُستخدَم هذا المسح غالبًا في مواقع أثريَّة لا يمكن التنقيب عنها، أو يكون الحفاظ عليها هو الهدف بدلاً من التنقيب.

طرق المسح الجيوفيزيائيِّ

إنَّ الأساليب المستخدَمة في علم الآثار مُقتبَسة إلى حدٍّ كبير من تلك المُستخدَمة في التنقيب عن المعادن، وفي الهندسة والجيولوجيا؛ إلا أنَّ الأمر يختلف نسبيًّا عمَّا هو في الجيولوجيا؛ إذ إنَّ مخلَّفات المواقع الأثريَّة تكون قريبة من السطح، وبعضها عضويٌّ يصعب تمييزه من الصخور، لذا يتطلَّب الأمر دقَّة، وكثافة عالية من نقاط البيانات في المتر المربَّع الواحد.

وأكثر طرق المسح الجيوفيزيائيِّ المُستخدَمة في المواقع الأثريَّة شيوعًا هي:

المقاومة الكهربائيَّة Electrical Resistance

وهي جهاز مشابه لأجهزة قياس المقاومة التي تُستخدَم لاختبار الدوائر الكهربائيَّة في غالبيَّة النظم. وتقوم هذه الطريقة على غمس قضيب معدنيٍّ في التربة للحصول على قراءة المقاومة الكهربائيَّة المحليَّة، وذلك بتحديد نقاط

الموقع المُراد مسحه، وإبعاد كلِّ ما هو معدنيٌّ عن المنطقة المراد مسحها. وبتكرار هذه العمليَّة، باستخدام شبكة المرَّبعات وجمع البيانات المتأتيَّة من جهاز القياس، يمكن رسم خرائط بحسب قراءات المقاومة، أدنى أو أعلى، وهي تشبه إلى حدٍّ كبير الخرائط الكنتوريَّة؛ فمثلاً، قد يعيق حجر أساس تدفُّق الكهرباء، أو قد يعيقها الفراغ كما هو في حالة الكهوف أو الآبار، بينما تؤدي الموادُّ العضويَّة إلى سلوك الكهرباء على نحو أفضل من التربة المحيطة بها. وبالرغم من استخدامها في مجالات علم الآثار ورسم الخرائط، فإنَّ أسلوب المقاومة الكهربائيَّة، وقدرتها، تبقى محدودة في اختراق الأعماق، وتمييز المقاطع الرأسيَّة، إضافة إلى عدم فعاليَّتها في التربة الجافَّة.

أسلوب المسح الكهرومغناطيسيِّ Electromagnetic

يعتمد هذا الأسلوب على فعاليَّة التوصيل، بعكس ما هو عليه الحال في طريقة المقاومة الكهربائيَّة. كما أنَّ الأجهزة المُستخدَمة في هذا الأسلوب أقلُّ حساسيَّة من المُستخدَمة في أسلوب المقاومة الكهربائيَّة، غير أنها تتمتَّع بخصائص فريدة عدَّة؛ إذ لا تحتاج إلى اتِّصال مباشر مع الأرض، إضافة إلى إمكانيَّة استخدامها في ظروف غير ملائمة لأسلوب المقاومة الكهربائيَّة، أمَّا الخاصيَّة الأخيرة، فهي سرعة جمع البيانات مقارنة بأدوات المقاومة الكهربائيَّة. وخلافًا لأدوات المقاومة الكهربائيَّة، فإنَّ أدوات المسح الكهرومغناطيسيِّ تستجيب للمعادن بقوَّة، ممَّا يؤثر سلبًا على إمكانيَّة التمييز بين المعدن الأثريِّ والمعدن الدخيل.

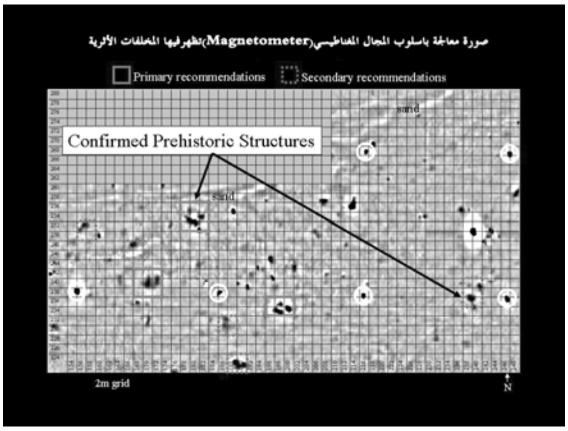

المجال المغناطيسيُّ Magnetometers

تتمثل هذه الطريقة في استخدام جهاز استشعار حسَّاس واحد لقياس إجمالي قوَّة المجال المغناطيسيِّ، ويمكن استخدام جهازَين أو أكثر، علاوة على أنه يمكن استخدام مجموعة متنوِّعة من أجهزة الاستشعار: Over Hauser, Cesium, Fluxgate, Proton؛ فلكلِّ نوع من الموادِّ المغنطة، وغير المغنطة، خصائص فريدة، إذ تسبب الموادُّ المختلفة تحت الأرض اضطرابات في المجال المغناطيسيِّ، وتتفاعل أجهزة قياس المجال المغناطيسيِّ بشدَّة مع الحديد، والطوب، والتربة المحروقة، وأنواع عديدة من الصخور المغنطة، وحيث أنَّ المخلَّفات الأثريَّة تحتوي على مثل تلك الموادِّ، فإنَّ استكشافها يصبح أمرًا ممكنًا باسنخدام قياس قوَّة المجال المغناطيسيِّ.

الرادار المخترِق Ground Penetrating Radar

تعدُّ طريقة الرادار المخترِق الأفضل والأكثر شيوعًا، على الرغم من أنها ليست الأكثر تطبيقًا في علم الآثار. وإشارة الرادار هي النبض الكهرومغناطيسيُّ الموجَّه إلى الأرض، فوجود الطبقات المتباينة تحت سطح الأرض يتسبَّب في اختلاف الترددُّات المنعكسة من الأرض والمُلتقطة بجهاز الاستقبال، إذ يشير الزمن الذي تستغرقه الموجة الراداريَّة

إلى عمق الطبقة، وبها يمكن الحصول على خرائط ومخطَّطات تفصيليَّة للطبقات. غير أنَّ هذا الأسلوب تقلُّ فعاليَّته في موقع يرتفع فيه مستوى الرواسب الطينيَّة، ويشوبه عيب البطء في جمع البيانات.

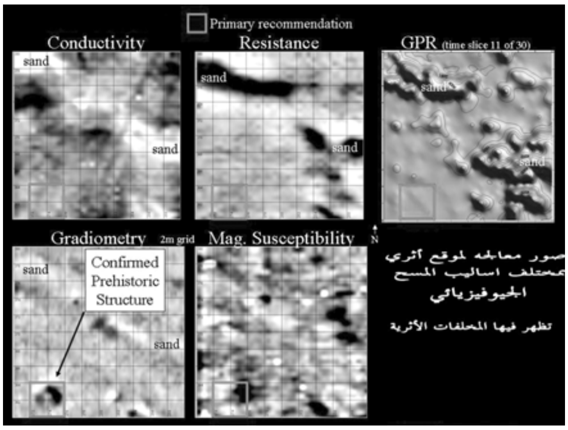

ولعلَّ هذه الطرق والأساليب في مجملها قادرة على تقديم معلومات وحقائق، إلا أنها تتفاوت في دقَّة الكشف عن المعالم الأثريَّة المدفونة تحت سطح الأرض.

جمع البيانات

تتشابه عمليَّات جمع البيانات بغضِّ النظر عن طريقة المسح الجيوفيزيائيِّ، والتي تتحقَّق عادة بالمشي على طول خطوط متوازية في المنطقة المراد مسحها، وبأخذ القراءات من الجهاز على فترات منتظمة. وتحدَّد المنطقة بسلسلة من المربَّعات التي تكوِّن في مجملها شبكة تغطي المنطقة المراد مسحها، وترتبط أركانها بنقاط مرجعيَّة تسهِّل إعادة تحديد المواقع بدقَّة عالية، قد تكون لأقرب سنتمترات.

تحليل البيانات

تنطوي عمليَّة تحليل البيانات التي تُجمع من الميدان، وإعدادها، وإخراجها على هيئة خرائط قابلة للتفسير، على إزالة القيم المُتطرفة والتشوُّهات، واستيفاء البيانات من النقاط. وهذه البيانات المُعالَجة، والتي تقدَّم عادة على نحو صور كما هو الحال في الخرائط الكنتوريَّة، أو خرائط الطبقات عن طريق الألوان بحسب التردُّد والمقاومة أو التوصيل، تدلُّ الباحث الآثاريَّ على أيِّ نشاط تحت سطح الأرض، سواء كان طبيعيًّا أم فيزيائيًّا. ويمكن تحليل البيانات باستخدام نظم المعلومات الجغرافيَّة، لا سيَّما ما جُمع منها بوساطة الرادار المخترِق، إذ يمكن إنتاج خرائط ثلاثيَّة الأبعاد لما هو تحت التربة.

التصوير الضوئيّ والرقميّ

يوسف الزعبي

يرتبط التصوير الرقميُّ باستخدام الحاسب الآليِّ الذي أسهم في ابتداع شكل تصويريٍّ جديد عُرف بالأسلوب اللاواقعيِّ في التصوير. وقد هيمن التصوير الرقميُّ على مجالات التصوير كافَّة، لدقَّته في التحكُّم بألوان الصورة ونقائها وسرعة نقلها عبر الشبكة العنكبوتيَّة، بينما تتطلَّب الصورة الضوئيَّة تحويلها إلى صورة رقميَّة عبر الماسح الضوئيِّ قبل نقلها إلكترونيًّا، ويتميَّز التصوير الرقميُّ بقلَّة كلفته؛ فلا يحتاج إلى فيلم وتحميض، وغير ذلك من مراحل التصوير الضوئيِّ. إلا أنَّ ذلك لا يعني تلاشي أهميَّة التصوير الضوئيِّ الذي يمكّن الفنَّان من تجسيد الواقع المُعاش بدقَّة متناهية، وتغذيته بخياله ومقدرته على إبراز المرئيِّ.

إنَّ أهميَّة التصوير تتجلَّى في المجالات العلميَّة كافَّة، لا سيَّما ما يتصِّل منها بتوثيق التراث الحضاريِّ، لذا يؤدِّي مختبر التصوير الضوئيِّ والرقميِّ في كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا دورًا مهمًّا في التسجيل والتوثيق لأعمال التنقيبات والمسوحات الميدانيَّة في حقول الآثار، والنقوش،

والأنثروبولوجيا، إضافة إلى توثيق النشاطات التي تقوم بها الكليَّة من مؤتمرات، وندوات، وورش عمل، ومعارض، ولمَّا كانت مهمَّة المصوِّر الآثاريِّ مهمَّة توثيقيَّة ترافق أعمال التنقيب الأثريِّ في الميدان يوميًّا؛ يقوم المصوِّر الآثاريُّ بتصوير الموقع قبل تحديد منطقة العمل المنويِّ التنقيب فيها، ثمَّ تصوير ما يُعثر عليه في أثناء عمليَّات التنقيب، بما في ذلك تصوير الأثر بينما لا يزال في موقعه؛ لما لذلك من أهميَّة في إعداد التقرير النهائيِّ لأعمال التنقيب، وتحديد الظروف والخطوات التي تتطلَّبها أعمال ترميم الموقع واللقى الأثريَّة فيه. وتستتبع ذلك الأعمال اللاحقة للتصوير، مثل التحميض، والطباعة، والمسح الضوئيِّ، وتحضير الشرائح.

يلي انتهاء عمليَّات التنقيب تصوير الموقع كاملاً بصورة عامَّة ونهائيَّة. ويُستخدم في ذلك أساليب عدَّة:

- التصوير من أعلى تلَّة مجاورة للموقع.
- استخدام السلَّم أو الرافعة.
- التصوير من طائرة مروحيَّة.

تلُّ الفخَّار في صورة جويَّة من طائرة مروحيَّة

بعد انتهاء أعمال التصوير الميدانيِّ، تصوَّر اللقى الأثريَّة في الأستوديو باستخدام كاميرات ذات مواصفات خاصَّة، وأفلام أبيض وأسود، وأفلام شرائح (سلايدات)، ثمَّ يقوم المصوِّر بتحميض الأفلام، وطباعتها.

تلف الحديد وطرق معالجته

رضوان الروسان

لطالما كان الحديد من أكثر أنواع المعادن التي يواجه المختصُّون في حقل الصيانة والترميم صعوبة في ترميمها، نظرًا إلى شدَّة تأثره بعوامل التلف المختلفة، إذ يتأثر الحديد بعوامل عدَّة، منها: الماء، والحرارة، والرطوبة، والأملاح، والأكسجين. يضاف إلى ذلك تعدُّد مظاهر التلف التي قد تصيب سنتمترًا واحدًا بعدَّة أنواع من الصدأ ممَّا يستوجب معالجتها جميعًا.

مظاهر تلف أو صدأ الحديد

يمكن تمييز صدأ الحديد بالنظر إلى ثلاثة ألوان تحدد طبيعة التلف ونوعه، وهي:

- الصدأ ذو اللون الأصفر، ويتكوَّن من كلورايد وكبريتات، وهو من أشدِّ أنواع الصدأ خطورة.

- الصدأ ذو اللون الأحمر أو البنيِّ، وفي هذه الحال يجدر بالمرمِّم التريُّث في صيانة الأثر الحديديِّ، ومراقبة ما يطرأ عليه من تطوُّرات، والتعامل معه بحذر، مع الأخذ بعين الاعتبار التفاعلات الكيميائيَّة التي تحدث في هذا الأثر، وخطورتها، وضرورة معالجتها.

- الصدأ ذو اللون الأسود، وهذا يعني انتهاء التفاعلات الكيميائيَّة في الأثر، وتوقُّف حدوث أي تغيُّر مستقبليٍّ عليه.

وعند الكشف عن أثر حديديٍّ في أثناء التنقيب الأثريِّ، وكما هو الحال مع جميع أنواع المعادن والفخَّار، والزجاج، تجدر ملاحظة أهميَّة التعامل مع هذا الأثر بدقَّة متناهية، وعدم ترك أيِّ قطعة مصاحبة للأثر أو أيِّ قطعة تالفة من حوله، سواء كانت صدئة أم لا، وإحضارها إلى المختبر.

الخطوات الواجب اتباعها في المختبر

يجدر بالمرمِّم اتخاذ الخطوات التحضيريَّة التالية في المختبر قبل بدء عمليَّة الترميم:

- تصوير الأثر بالأشعَّة السينيَّة للكشف عن تفاصيله كاملةً، من حيث قياسات أبعاده، أو أيَّة شقوق قد أصابته، أو عمَّا قد يحمله من كتابات أو رسومات. ويعطي الكشف عن تلك التفاصيل المرمِّمَ تفاصيل دقيقة عن حيثيَّات عمليَّة الصيانة والترميم لاحقًا.

- رسم الأثر يدويًّا بناءً على صورة الأشعَّة السينيَّة، ورسم المظهر الخارجيِّ للأثر كما هو قبل بدء عمليَّة التنظيف.

- تصوير الأثر من جميع جوانبه بصور ملوَّنة، وذلك قبل بدء عمليَّة التنظيف.

- إعداد نموذج خاصٍّ بالقطعة الأثريَّة المراد ترميمها، يتضمَّن كافَّة التفاصيل المتعلِّقة بالأثر من حيث الشكل، واللون، والمواد العالقة به، والموقع الذي عثر عليه فيه، وغير ذلك من الملاحظات التي يراها المرمِّم ضروريَّة، إضافة إلى الموادِّ اللازمة لصيانة هذا الأثر، والخطوات التي أجريت على هذا الأثر تباعًا، وخطوات العمل المنويِّ إجراؤها، بحيث يشكل هذا النموذج ملفًّا شاملاً يبيِّن شكل القطعة، وحالتها، ومراحل المعالجة التي خضعت لها. وفي أثناء ذلك كلِّه، يجدر بالمرمِّم الرجوع إلى الآثاريِّ، والكيميائيِّ المختصِّ، لتحديد إجراءات المعالجة اللازمة وفق الأسس العلميَّة الصحيحة.

على المرمِّم الرجوع إلى ملفِّ الأثر باستمرار لتحديد كيفيَّة التعامل مع الأثر المراد صيانته وترميمه. وتجدر الإشارة إلى أنَّ ثمَّة أساليب علميَّة عديدة لترميم الحديد وصيانته، إلا أنَّ الطريقة الأكثر شيوعًا، والمتبعة في مختبرات كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا، تتضمَّن إجراءات المعالجة التالية:

- إحضار الأثر وما صاحبه من قطع صغيرة أو كبيرة لم تكن ملتصقة بالأثر حين العثور عليه، وتثبيتها، وإلصاق الشقوق تفاديًا من انفصال أجزاء الأثر في أثناء عمليَّة التنظيف. ويجري تثبيت تلك القطع والشقوق بلاصق سريع الجفاف مثل "السوبر جلو" بنقاط صغيرة لتجنب إحداث ضرر في الأثر نفسه.

- تنظيف وإزالة ما علق بالأثر من أتربة وغيرها، مع الحفاظ على ما يلتصق بالأثر من بقايا عظميَّة، أو نباتيَّة أو غيرها، ممَّا يقدِّم للمرمِّم أو الآثاريِّ دلالة ذات صلة بهويَّة الأثر أو الموقع الذي عثر عليه فيه.

- تثبيت القطع التي تتفتت في أثناء عملية التنظيف في مكانها الصحيح، وذلك بنقاط صغيرة من لاصق "السوبر جلو".

- معالجة العيِّنة الشديدة التلف معالجة كيميائيَّة مباشرة فقط. أمَّا إذا كان تلف العيِّنة الأثريَّة من الدرجة المتوسِّطة؛ فتنظَّف العيِّنة من الأوساخ والأتربة العالقة ميكانيكيًّا بجهاز طبيب الأسنان "الدِنتل" مع مراعاة التأني والحذر الشديدين، واختيار إبرة "الدِنتل" المناسبة تلافيًا لإحداث أيِّ تدمير مهما قلَّ شأنه، إذ يتميَّز الحديد من باقي المواد الأثريَّة بهشاشته. لذا يتطلَّب التعامل معه الحذر الشديد، وضرورة المحافظة على طبقة الصدأ السوداء؛ فهي من أهمِّ خصائص اللقى الأثريَّة المعدنيَّة.

وفي أثناء عمليَّات التنظيف، ولدى تنظيف كلِّ جزء من الأثر، يجب الرجوع باستمرار إلى صور الأشعَّة التي أخذت للأثر تباعًا، وذلك لتحديد خطوة التنظيف التالية. وبعد الانتهاء من تنظيف الأوساخ، وإظهار الأثر بشكله الأصليِّ، ولصق القطع المصاحبة له، تجري عمليَّة حماية الأثر، وتحضيره لإجراء المعالجة الكيميائيَّة على النحو التالي:

- لتثبيت الأثر الحديديِّ وحمايته من التفتت في أثناء عمليَّة التنظيف الكيميائيِّ، تخلط مادة araldite بنسبة 5٪ بمادَّة السيليكا Aerosil، أو بدونها. وثمَّة نوعان من اللاصق: Ay103، وAy956، حيث يوضع اللاصق على بكرة أسطوانيَّة الشكل مثبَّتة على عمود يتوسَّطها. ويُلف خيط على البكرة بطول الأثر المطلوب صيانته، وإذ يعشق الخيط مادَّة الـ araldite، يُلفُّ على الأثر، ثمَّ يجفَّف اللاصق عند الانتهاء من هذه العمليَّة بتعريضه للأشعَّة تحت الحمراء حتى يجفَّ تمامًا، علمًا أنَّ الأشعَّة تحت الحمراء لا تتسبَّب في تدمير الأثر الحديديِّ.

- ولتنظيف العيِّنة الأثريَّة من الأملاح، يحضَّر محلول كيميائيٌّ قاعديٌّ من 1000 مللتر من الماء، و6,3 غرام من NaSO3، و20 غرام من NaOH. ويراعى أنْ تكون كميَّة المحلول حوالي عشرة لترات جاهزة باستمرار، وذلك من أجل تغيير المحلول باستمرار. ثمَّ يوضع الأثر الحديديُّ في كيس نافذ للماء يحتوي على قطعة من الفولاذ الذي لا يصدأ stainless steel، وذلك لاختزال الصدأ والأملاح الموجودة على الأثر الحديديِّ، ثمَّ يوضع الأثر في المحلول، على أنْ تكون درجة حرارة هذا المحلول ما بين 60-80 درجة مئويَّة. ويجب فحص مستوى الأملاح في العيِّنة دوريًّا مرَّة كلَّ أسبوع أو شهر، وذلك بإعداد محلول حامضيٍّ مكوَّن من 25 مللتر من المحلول نفسه، و100 مللتر من الماء المقطَّر، و5 مللتر من HNO3، وذلك لمعادلة قاعديَّة المحلول. وتسجَّل النتيجة على ورق رسم بيانيٍّ، وتكرَّر العمليَّة إلى أنْ يتمَّ التخلُّص من الأملاح كليَّةً.

- بعد الانتهاء من تنظيف العيِّنة بالطريقة الكيميائيَّة الآنفة الذكر، يحفظ الأثر الحديديُّ بمحلول araldite بما نسبته 5٪، وذلك لدقائق معدودة، وقد تكرَّر هذه العمليَّة ما بين ثلاث إلى خمس مرَّات. وتهدف هذه العمليَّة إلى التأكد من أنَّ محلول araldite قد غطَّى السطح الخارجيَّ للأثر تمامًا، وذلك تفاديًا لوجود أيَّة بقعة صغيرة غير مغطاة قد تسارع في حدوث التلف إذا ما تعرضت إلى عوامل التلف من جديد.

إلى روح
نبيل القاضي

فارقت روح الزميل نبيل القاضي الحياة يوم الجمعة 2007/12/7، وكان الراحل الذي ولد في مدينة الخليل عام 1947 حصل على البكالوريوس في الآثار من الجامعة الأردنيَّة عام 1972، وعيِّن مساعدًا للتدريس في جامعة اليرموك عام 1982، وشارك في جلِّ مشاريع التنقيب الأثريِّ والمسوحات الميدانيَّة التي قامت بها كليَّة الآثار والأنثروبولوجيا. وقد حاز نبيل القاضي احترام جميع من عمل معهم من فرق التنقيب الآثاريَّة لكفاءته العلميَّة التي ازدانت بحسن الخلق وأُنس المعشر.

الأصدقاء الأعزاء،

وقع نبأ وفاة نبيل عليَّ وقع الصاعقة، ومع أنني عرفت أنه كان معتلاً، غير أنني لم أدرك أنَّ صحَّته كانت تتردَّى، ولا أنَّ حالته كانت تسوء سريعًا مثلما تبيَّن آخر الأمر. كان نبيل رجلاً هادئًا متواضعًا، لكنَّه كان ذا أثر كبير عميق في الناس الذين يلتقيهم.

وكنت التقيتُ نبيلاً أوَّل مرَّة عام 1985، يوم شاركت في برنامج لتبادل الطلاَّب نسَّقه معهد الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك. ولن يغيب ذلك اليوم عن ذاكرتي أبدًا، فقد جئتُ إلى تلِّ أبو الثوَّاب، وهو موقع من العصر الحجريِّ النحاسيِّ والعصر البرونزيِّ المبكِّر، متسلِّحًا بمسطرين وبمعرفة نظريَّة عن أحدث الطرق والنظريَّات في التنقيب الأثريِّ، وأقبلت على العمل أنقِّب بدقَّة عن كلِّ حبَّة تراب في المربَّع الذي كُلِّفت بالعمل فيه.

وتركني نبيل على ذلك أيَّامًا، فلمَّا كدت أقنط من العثور على أيِّ شيءٍ جاءني وعلَّمني في جلَد ما ينبغي عليَّ معرفته من طرائق التنقيب ووسائله كي أغدو منقِّبًا ماهرًا.

وعلى مرِّ السنين، حين كنت أحاول تدريب طلاَّبي على التنقيب الأثريِّ، كنت كثيرًا ما استرجع تلك التجربة، واستعيد ما كان نبيل علَّمني إيَّاه، وسأكون ممتنًا أبدًا؛ إذ توافر لي ذلك المعلِّم الخبير في بداياتي العمليَّة. ولا أحسب أنَّ ثمَّة لأحد من الخبرة الميدانيَّة في التنقيب عن آثار الأردنِّ مثلما لنبيل، إلاَّ أنَّ نبيلاً ما كان ليباهي بذلك أحدًا، وقد بات مثل هذا التواضع والتعفُّف في يومنا هذا عزيزَين، وغدونا في حاجة ماسَّة لهما، ويجيء رحيل نبيل الآن ليعمِّق فينا الإحساس بحاجتنا إلى هذه القيم. فشكرًا يا نبيل وإلى جوار الرحمن......

تيم هاريسون

كان يوم جمعة حين انبلج الصبح وعرف الأهل بالفجيعة... وشقَّت الشمس لنفسها دربًا بين السحب لتعلن لنا خبر موتك وتقول... دقَّت ساعة القضاء... وانفتح الفضاء... وجاءت يد المنون لتخطفك من بيننا وكأنها تعلم بأنَّ هذا الوقت هو وقت الشتاء... وقت الحفريَّات الأثريَّة في غور الأردنِّ... والغور بلا نبيل أشبه بحفريَّة دون نتائج... لم نصدق الخبر أولاً لأنَّ أمثالك وإنْ غاب طيفهم ... فهم في الذاكرة محفورون... لأننا نعلم أنَّ علاقتك بالأرض هي علاقة عشق وحب... لذا ذهبنا إلى الأغوار حيث أعملت معولك... الكلُّ يقف فوق ظهر دير علاّ... ينظر باتجاه الشمال... صوب تلِّ أبو حامد يبحث عن طيف نبيل... وعن طلته بين ركام التاريخ... كما كان الحال دائمًا... لكنَّ الأمر اختلف هذه المرَّة... لا آثار ولا نبيل... فلا يكون أحدهما إلا بالآخر.

أخي نبيل... بحثت عنك في مربَّعات الحفريَّات الأثريَّة كلِّها فلم أجد منك إلا طيفًا اختفى داخل التراب... أين أنت؟ كنت اليمين و كنت الشمال... فبعدك لا يمين ولا شمال... حتى لون الآثار أصبح أشدَّ قتامة... أناديك فلا أسمع إلا صدى... لكني أراك تقف أمام ناظري والبسمة تعلو شفتيك... وتقول... ابحث عني في طبقات الأرض، حيث أحببت أنْ أكون دائمًا... لو سألت الناس عني... يعرفون أنني ما زلت أمسك معولاً بيدي اليمنى... و مسطرينًا بيدي اليسرى... أصنع مدادًا... يستخدمه الناس لكتابة التاريخ... ألا يكفي ما صنعت؟... اكتفيت من الدنيا ومن رثاء الناس... وجاء الحقُّ... فأدارت الحياة ظهرها... فأدرت لها ظهري... ودعتكم جميعًا بنظرة... وداعًا لكم... فنرد... وداعًا لك يا أبا سليم...

زيدان كفافي

عرفت المرحوم نبيل القاضي منذ حوالي ثلاثة عقود، ولا أذكر عدد المشاريع الميدانيَّة التي أعدَّ لها أو شارك فيها مع عدد من الزملاء في قسم الآثار في جامعة اليرموك، ولكني استمتعت بمشاركته الفاعلة من خلال عدد من المواسم في حفريَّات المشيرفة إلى الشرق من عمان، ومطار الملكة علياء، وتلِّ دير علاّ في وادي الأردنِّ، وخربة الزيرقون إلى الشمال الشرقيِّ من إربد، وفي أعمال المسح والتنقيب في سحاب وما حولها. لقد كان يُعتمد عليه في الإعداد،

وأعمال التنقيب، والتوثيق، وإعداد التقارير، والتخزين، وأحياناً ترميم بعض المكتشفات الأثريَّة. وفوق هذا كله كان نبيل -أبو سليم- مثالاً في الأخلاق والتعاون مع زملائه؛ فاكتسب ثقة الجميع، الأمر الذي زاده عبئًا كبيرًا بلغ أحيانًا فوق طاقة الإنسان، ولكني لم أسمعه يومًا يشكو ولم أشعر أنه يملُّ أو يضجر. أرجو منك يا أخ نبيل السماح فقد أثقلنا عليك الكثير، ولعلَّ ذلك كان على حساب صحَّتك ووقت أسرتك الكريمة، رحم الله نبيل القاضي وأسكنه فسيح جنَّاته.

معاوية إبراهيم

عزائي الحار بوفاة نبيل، فهو قد كان صديقًا قديمًا، وآثاريًّا من الطراز الأوَّل.

فرانسوا فيلنيف

عرفت نبيلاً منذ سنين طوال، قبل أنْ أدرس علم الآثار أو أنْ أشتغل فيه. وبعد ذلك . . . رافقني نبيل ورافقته في مواضع عديدة من مواضع العمل والحياة . . . فكانت منزلته عندي تزداد سموًّا كلَّما ازدادت معرفتي به، فقد اجتمع فيه العلم إلى الدماثة على نحو يندر أنْ يجتمعا فيه في إنسان واحد . . فرحمة الله عليك يا نبيل .. . وإلى جنَّات الخلد.

زيدون المحيسن

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ خسارتنا تتجاوز فقدان زميل رائع، فقد جعله إيمانه إنسانًا متواضعًا مقدِّرًا للآخرين. وقد خسرت بوفاته أخًا حقيقيًّا، هداني خلال سنوات عديدة. فقد هيَّأ لي قول "لا إله إلاّ الله"، وكان شاهدًا على ذلك. فعسى أنْ يجازيه الله على ذلك خيرًا، وأنْ يفتح له أبواب جنَّاته. وسيُعزينا هذا الرجاء نحن وعائلته حتَّى يأتي أوان لحاقنا به.

هانز غيورغ قاسم جيبل

... لقد خلَّف نبيل فينا جميعًا أثرًا عميقًا، ليس بفضل شمائله الشخصيَّة وحسب، بل وبفضل مهارته المهنيَّة كذلك، فقد كان آثاريًّا من الطراز الأوَّل . . .

خيرت فان در كوي

سيبقى نبيل دائمًا في بالنا، بوصفه منقِّبًا متميِّزًا ومتمكِّنًا من مهنته، وبوصفه إنسانًا رائعًا، وصديقًا طيِّبًا.

هانس نيسن

في يوم مبارك من ربِّ العزَّة، يوم جمعة، فقدنا زميلاً جليلاً، وأخًا عزيزًا، وإنسانًا نبيلاً، نبيلٌ في خلقه وتعامله، ونبيلٌ في دينه وعلمه وحبِّه للعمل . . . لقد رافقته منذ عام 1985، وعملنا يدًا بيد في الميدان في أكثر من خمسين مشروعًا وحفريَّة، وكنَّا معًا في أوقات ذلك جميعها، فما عهدت فيه إلا الإخلاص في العمل، والبحث، ومساعدة الآخرين.

ننعاك يا نبيل أستاذًا بارزًا في الآثار، وننعاك مثالاً لكليَّة الآثار والأنثروبولوجيا وابنًا لجامعة اليرموك . . . لقد أحزننا فراقك، وأفجعنا رحيلك، لكنَّ ما يعزي النفس فينا بصماتك التي تركت... في كلِّ ركن من الكليَّة، وفي كلِّ تلٍّ أثريٍّ، وفي كلِّ حفريَّة، ودوام ذكراك فينا فيما تركته من الخلق والعلم وحسن الرفقة.

رحمك الله يا أبا سليم وإلى جنَّات الخلد، آمين . . .

علي العمري

. . . لقد عملت مع نبيل ما ينوف على عشرين عامًا، ولحظت منذ اليوم الذي تعرَّفت فيه إليه ما اتَّصف به من شمائل طيِّبة، وهي تواضعه البالغ، وجديَّته، مشفوعتَين بطيبة لا حدود لها . . . لقد كان شخصيَّة رائعة . . .

جنفيف دولفوس